الإمام المهدي

نظرة وجيزة شاملة

(مقدمة كتاب كلمة الإمام المهدي عجّل الله فرجه)

الشهيد آية الله السيّد حسن الشيرازي

(قدس سره)

الامام المهدي عليه السلام

نظرة وجيزة شاملة

آية الله السيد حسن الشيرازي قدس سره

مؤسسة دارالمهدي والقرآن الحكيم

الحسينية الكربلائية ـ اصفهان

الكتاب: الامام المهدي عليه السلام نظرة وجيزة شاملة

المؤلف: آية‌الله السيّد حسن الشيرازى مدظله

الناشر: رشيد

الطّبعة: الاولى ١٤٢٦ ـ ١٣٨٤

عدد المطبوع: ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة: شريعت

ردمك: ٥ـ٣ـ٩٦٤٢٩ـ٩٦٤

قم، شارع توحيد، منشورات رشيد، ٠٩١٢٣٥٣٤٧٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يكتب الشهيد آية اللّه السيد حسن الشيرازي قدس سره عن سيّده و مولاه الإمام المهدي المنتظر عجّل اللّه ظهوره المبارك، و لمَ لا يكتب و هو ـ بلا ريب ـ من الّذين طالما سعوا بجد و وعي و إخلاص للتمهيد و استقبال الإمام الموعود أرواحنا فداه، فهو قد كتب بجهاده المرير و دمه الطاهر قبل أن يكتب بمداده المقدس، و لطالما وقف بوجه طغاة العصر، رافضاً سلوكهم الّذي لا يرتضيه اللّه سبحانه و تعالى، و لا يرتضيه إمام الزمان عليه السلام، كما كان في الوقت ذاته ـ بموافقه و آرائه و مجمل سيرته ـ يصر على بعث الأمل في نفوس المسلمين عموماً و أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على وجه الخصوص لترقب ساعة الظهور العظيم، و دفعهم إلى أن يكون ترقبهم و انتظارهم المأمورين به ذا صبغة إيجابية و عملية طيبة، ليحرّضهم على تكريس إيمانهم و تمسكهم بمفاهيم وقيم القرآن و أهل البيت عليهم السلام، فيكونون بذلك خير جنود يقفون على أهبة الاستعداد لنصرة سيّدهم و مولاهم.

و لقد كان كل اهتمام شهيدنا العظيم، و هو صاحب القلم الرصين و الكلمة الطيبة أن يوضح للمؤمنين مبادئ الإسلام وقيم القرآن و تعاليم أهل البيت عليهم السلام عبر ما رفعه من إشكالاتٍ كرسها الجهل بالحقيقة المهدوية، و عبر ما أوضحه من نقاط هي الغاية في العمق و الرصانة، خاصة بإمامة الإمام الحجّة القائم عليه السلام، و مداليل هذه الإمامة، و عظمة فوائد الغيبة المهدوية، و ما تمثله من نقاط قوة تمتاز بها المدرسة المحمّدية العلوية، لاسيّما على صعيد الولاية و القيادة الشرعية الحية و ضرورة تطابق إيمان و عقيدة الإنسان المؤمن مع المفاهيم القرآنية الخاصة بالعقيدة المهدوية أصلاً، الّتي تدفع بإيمان المؤمنين إلى أن يكون إيماناً حياً يتواءم مع متطلبات الحياة على مرّ العصور و اختلاف الدهور، دون ذلك الإيمان السطحي و العقيدة الّتي لا تجد لها مساحة في قلب الفرد و عقله؛ فتراها أسرع ما يكون إلى التشرذم و الضياع.

و هذا الكتاب الّذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ بمثابة المحاولة الجريئة و الجدية للغاية لمعالجة عقيدة الإيمان بإمامة مولانا و سيّدنا الإمام الحجّة بن الحسن عليهما السلام و حقيقة وجوده و غيبته العزيزة و المريرة في آنٍ.

و لا عجب في ذلك، لكون شهيدنا السيّد المؤلف قد أخذ في نوع استدلالاته و طبيعة بحثه من المعين الصافي، أعني القرآن الكريم و روايات أهل البيت عليهم السلام، و هما المصدران العظيمان اللّذَين طالما بشّرا بإمامة المهدي المنتظر عجّل اللّه فرجه

الشريف، و أعلنا للناس أمر غيبته ثم ظهوره و تأسيسه حكومة العدل الإلهي الشامل، إضافة إلى اتباع المؤلف النحرير شطراً هاماً مما صدر عن أسلافه العِظام من العلماء الأعلام في معالجة القضية المهدوية، و هو لدى ذلك؛ يفتح مجالات البحث على مصاريعها للمؤمنين الموالين الّذين يرغبون في ممارسة مسؤولياتهم الثقال تجاه هذه القضية العالمية، فيلتمسوا نوراً من أنوار الهداية الربانية في حياتهم العملية.

و حقيقة الأمر تشير إلى أن التأليف في هذا الموضوع الشريف لا يتأتى إلّا لمن أخذ نصيبه من العلم و اليقين بإمامة موعود السماء و وجوده و حتمية ظهوره المبارك. و لك ـ أيها القارئ العزيز ـ أن تتعرف إلى عظيم درجة و رفيع منزلة مؤلفنا الشهيد السعيد من خلال روعة أدبه و عمق ما تناوله من قضايا مهدوية هامة، لا تدع مجالاً للمشككين أو المعاندين في طرح أباطيلهم الّتي سرعان ما تذوب و تنتهي إذا ما واجهتها المفاهيم الفذة و عمق الفكرة و حلاوة التعبير.

و حيث كان السيّد الشهيد مهتماً بتأليف و جمع موسوعة ضخمة أسماها « موسوعة الكلمة » و هي عبارة عن كتب خاصة بجمع كلمات الأحاديث القدسية و كلمات المعصومين عليهم السلام، و التقديم لها بما يمهد لاستيعابها و الاعتقاد و العمل بها إلّا أن قسوة الظالمين المحاربين للدين و الناصبين العداء للنّبي و آله عليهم السلام أخّرته إلى حين ... فيتحدث السيّد الشهيد عن سبب تأليفه هذا

الكتاب لبعض زملائه و ما رافقه من مصاعب و متاعب و ... كرامات و فضائل، فيقول رضوان اللّه عليه:

عندما كنت في سجون البعثيين في العراق، و تحت التعذيب الوحشي القاسي توسلت ذات مرة بمولاي و سيدي صاحب الزمان الإمام المهدي عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف أن يتولى نجاتي من هذه المظالم، و عاهدت الإمام عليه السلام لقاء ذلك أن أقوم بتأليف كتاب يجمع ما روي عنه عليه السلام من زيارات، و أدعية، و رسائل، و سائر كلماته الشريفة ..

و راحت الأيام و الليالي، و مضت الشهور تلو الشهور على إقامتي في السجون المختلفة في بغداد، و بعقوبة حتى خلّصني اللّه تعالى ـ بدعاء صاحب الأمر عليه السلام ـ و فرّج عني و خرجت من سجون البعثيين و للّه الحمد .. و بعد فترة من الزمن جاءني أحد أقربائي ليقول لي:

(رأيت في عالم الرؤيا رجلاً نورانياً مهيباً قال لي: قل للسيد حسن الشيرازي: حان الوقت لأن يفي بعهده لصاحب الأمر عليه السلام في تأليف الكتاب..) و كان الشخص ذاك لا يدري عن عهدي، لأني لم أكن قد حدّثت به بعد.

فعزمت على ذلك و صرت أجمع المصادر المحتاج إليها لمثل تأليف هذا الكتاب.

ثم جاءني بعد مدة شخص آخر و قال لي مثل ما قال الأول، من غير ترابط بينهما و لا صحبة و لا سابقة إطلاقاً:

(رأيت في الحلم ـ في عالم الرؤيا ـ أن صاحب الأمر عليه السلام يطالبك بعهدك معه عن الكتاب ..).

فاشتد عزمي و بدأت في تأليف هذا الكتاب « كلمة الإمام المهدي عليه السلام » قال السيّد الشهيد قدس سره:

و بعد ما أنجزت القسم المهم من الكتاب رأيت ما يلي في عالم الرؤيا:

« رأيت شخصاً مهيباً، طويل القامة، جميل المحيا، له هيبة الأنبياء، و جلال الصديقين، و وقار الخاشعين، لابساً حلة بيضاء قد توجّه إليّ ـ فظننته صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام ـ و قمت إجلالاً له، و تقدمت إليه، فلما اقتربنا أخذت بيده لأقبّله، فبدرني هو و قبّل يدي.

فلما قبّل يدي علمت أنه ليس الإمام المهدي عليه السلام.

فسألته عن نفسه و قلت له: من أنت؟

فقال: أنا من قبل وليّ اللّه.

فشعرت في عالم الرؤيا أن الرجل رسول من قبل الإمام المهدي عليه السلام جاء إليّ شاكراً لتأليف هذا الكتاب.

قال السيّد الشهيد قدس سره: و لأول مرة أرى رؤيا مثل هذه عن واحد من تأليفاتي.. و أسأل اللّه تعالى أن يقرنه برضاه، و يرضى عني مولاي و سيّدي صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، الّذي هو طريقي إلى مرضاة اللّه تعالى.

قال الراوي للقصة: كان السيّد الشهيد قدس سره يحدثنا بهذه القصة و نحن بجوار قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة، في طريقنا إلى الحج..

و نحن إذ نقوم باحياء هذا التراث القيم و إنجاز هذه الأمنية

للشهيد الشيرازي قدس سره لطبع « كلمة الإمام المهدي عليه السلام » و نشرها على الأفق الثقافي في العالم.

نأمل و نسأل اللّه تعالى الأمور التالية:

أولاً: أن ينتقم لهذا الدم الزاكي، و لسائر الدماء الزكية الّتي أراقتها الزمرة الظالمة الحاكمة في العراق، و ينقذ الإسلام و المسلمين من شرورهم و مفاسدهم و مذابحهم...

و لقد يملؤنا الوجد و الاعتزاز ـ نحن في (مؤسسة دارالمهدي عليه السلام و القرآن الحكيم) أن نقوم بتجديد طباعة مقدمة كتاب « كلمة الإمام المهدي عليه السلام » لما تحويه من مضامين حية و رائعة في عصرنا الراهن، و حلول لكثير من الإشكالات المطروحة، لنساهم ـ بما تيسر لنا ـ بإيصال صوت القضية المهدوية المباركة، و خدمة أتباع المدرسة المهدوية السامية، فينهلوا من رحيق الهداية و الإيمان، و يشمروا عن سواعد الجد في تهيئة أرضية الظهور، و يستعدوا لاستقبال إمامهم الرباني الّذي طال انتظارهم له، فينصروه و ينتصروا به إن شاء اللّه تعالى، و هو خير ناصر و معين، آملين أن يأخذ اللّه تعالى بأيدينا، فيوفقنا أيضاً لتجديد طبع القسم الآخر من هذا الكتاب الّذي حوى كلمات الإمام عليه السلام و زياراته و أدعيته و رسائله، إنه سميع مجيب.

مؤسسة دارالمهدي عليه السلام و القرآن الحكيم

١٤٢٦ هق ـ ٢٠٠٥ م

لمحات خاطفة عن حياة

آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي قدس سره

● هو آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي رحمه الله ، ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٤ هجرية قمرية ، وهاجر بصحبة والده الجليل إلى كربلاء المقدسة وبقي فيها طالباً للعلوم الدينية حتى حصل على درجة الإجتهاد ، ثم هاجر إلى لبنان حيث استشهد فيها عام ١٤٠٠ هجرية .

● **جَدُّهُ:** آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي رحمه الله ، الذي طرد الإستعمار البريطاني من (إيران) قبل قرن تقريباً في فتواه المعروفة بتحريم إستعمال التبغ والتنباك .

● **خاله:** آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله ، وهو الآخر الذي طرد الإستعمار البريطاني من العراق قبل نصف قرن تقريباً في فتواه المعروفة بتحريم سلطة غير المسلمين على المسلمين .

● **والده:** آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي رحمه الله ، أفتى ضد (الشيوعية) الذين عاثوا في أرض العراق الفساد ، وحرم الإنتماء إلى الحزب الشيوعي وأنقذ العراق من سطوتهم وقسوتهم .

● **ابن عمه:** آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي رحمه الله الذي هو الآخر

أفتى ضد الشيوعية وحرم الإنتماء إلى الحزب الشيوعي وأنقذ العراقيين من مجازرهم ومشانقهم.

● **أخوه:** آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي(قدّس سرّه)قائد الثورة الثقافية الدينية، والنهضة الفكرية الإسلامية، والحركة الإصلاحية المعاصرة، عبر تأليفاته القيّمة المتجاوزة على ألف كتاب وكتيب، وكرّاس ومقال، والدّاعي إلى تطبيق القرآن الحكيم بطريقة اللاعُنف.

● **وأما أساتيذه فكثيرون منهم:**

❊ والده آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي قدس سره.

❊ آية الله العظمى الحاج السيد محمد هادي الميلاني قدس سره.

❊ آية الله العظمى الحاج الشيخ محمد رضا الإصفهاني قدس سره.

❊ أخوه الأكبر آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي(قدّس سرّه)

● **وأما تلامذته:** فكثيرون أيضاً، وفي مختلف السطوح، فقد درّس الأدب والمقدمات «بحث السطوح» في كربلاء المقدسة، وواصل تدريسه بادئاً بالمرحلة العليا في الفقه والأصول «بحث الخارج» على طلبة العلوم الدِّينية في الحوزة العلمية الزَّينبية التي أسَّسها بيده في جوار السيدة زينب عليها السلام بالشام، ونبغ منهم على يديه جيل من الأدباء والفقهاء.

● **تأليفاته المطبوعة:**

موسوعة الكلمة، وقد طبع أكثرها، والباقي في طريق الطبع، وهي:

❊ كلمة الله .

❊ كلمة الإسلام .

❊ كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

❊ كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

❊ كلمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام .

❊ كلمة الإمام الحسن عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الحسين عليه السلام .

❊ كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الباقر عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الصادق عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الكاظم عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الرضا عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الجواد عليه السلام .

❊ كلمة الإمام الهادي عليه السلام .

❊ كلمة الإمام العسكري عليه السلام .

❊ كلمة الإمام المهدي عليه السلام .

❊ كلمة السيدة زينب عليها السلام .

❊ كلمة الأنبياء عليهم السلام .

❊ كلمة الحكماء والعلماء .

❊ كلمة الإقتصاد (الوعي الإسلامي).

❊ إنجازات الرسول.

❊ إله الكون

❊ التوجيه الديني.

❊ الصرف.

❊ الإشتقاق.

❊ الأدب الموجّه.

❊ العمل الأدبي

❊ حديث رمضان.

❊ الشعائر الحسينية.

● **مشاريعه:**

❊ تأسيس الحوزة العلمية الزينبية في زينبية الشام.

❊ تأسيس مدرسة الإمام المهدي في بيروت لبنان.

❊ تأسيس مكتبة جماعة العلماء في لبنان.

❊ تأسيس دار الصادق عليه السلام.

❊ تأسيس مجلة الأخلاق والآداب.

❊ تاسيس مجلة الإيمان.

❊ بناء المساجد والمدارس والحسينيات.

* إرسال المبلغين لأفريقيا.

● **جهاده:**

* حارب الزُّمرة الحاكمة في العراق حتى سجن وعذب وأخيراً اغتيل.

* واصل جهاده في إسقاط نظام (الشاه) وإيصال صوت الشعب الإيـراني المظلوم إلى العالم.

* ساهم في تدعيم الحركة الإسلامية ضد الغزو الروسي في أفغانستان.

* دافع عن جنوب لبنان وندد بالعدو الإسرائيلي في كل المجالات.

صـــلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد المصطفى وعلى عترته الطاهرين.

لاسيما خاتمهم، وقائمهم،

أمل الشعوب..

ورجاء المستضعفين..

آخر أهداف الأنبياء والمرسلين..

وبشارة الرسالات السماوية كلها..

المنتظر الموعود..

الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه..

قبل البدء

منذ ربع قرن تقريباً وآية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس الله سره بدأ تأليف موسوعته الضخمة (الكلمة).

(الكلمة) التي هي خلاصة كل رسالات السماء.

(الكلمة) التي هي مجموعة كل الخيرات.

(الكلمة) التي هي نتيجة كل ماأوتيت الأمم كلها من فضل وكرامة.

هذه الموسوعة موزَّعة على تسع عشرة كلمة كالتالي:

١ ـ كلمة الله.

٢ ـ كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

٣ ـ كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ كلمة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٥ ـ كلمة الإمام الحسن عليه السلام.

٦ ـ كلمة الإمام الحسين عليه السلام.

٧ ـ كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام.

٨ ـ كلمة الإمام الباقر عليه السلام.

٩ ـ كلمة الإمام الصادق عليه السلام .

١٠ ـ كلمة الإمام الكاظم عليه السلام .

١١ ـ كلمة الإمام الرضا عليه السلام .

١٢ ـ كلمة الإمام الجواد عليه السلام .

١٣ ـ كلمة الإمام الهادي عليه السلام .

١٤ ـ كلمة الإمام العسكري عليه السلام .

١٥ ـ كلمة الإمام المهدي (عجل الله تعالى ظهوره الشريف).

١٦ ـ كلمة الإسلام.

١٧ ـ كلمة العقيلة زينب عليها السلام .

١٨ ـ كلمة الأنبياء عليهم السلام .

١٩ ـ كلمة الحكماء والعلماء.

وقد طبع منها في حياة آية الله الشهيد الشيرازي قدس سره أربع كلمات هي:

١ ـ كلمة الله.

٢ ـ كلمة الإسلام.

٣ ـ كلمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

٤ ـ كلمة الإمام الحسن عليه السلام .

وبقيت خمس عشرة كلمة منها بين مخطوط مكتمل جاهز للطبع، وبين مخطوط غير مكتمل قابل للإتمام والإكمال.

وكان آخر هذه الكلمات في سلسلة المعصومين عليهم السلام هي: كلمة الإمام المهدي عليه السلام بين يديك.

وقد حرص آية الله الشهيد الشيرازي قدس سره أن يقوم هو بطبعها في الآونة الأخيرة، ويكون هو المشرف على بعض ما يحتاج إلى الإصلاح أثناء الطباعة.

إلّا أن الأيدي الأثيمة ـ من حزب البعث الظالم الحاكم في العراق ـ حالت دون إنجاز هذه الأمنية فأردته شهيداً في سبيل الله والإسلام برصاصات الغدر والخيانة.

وذلك في بيروت عصر الجمعة السادس عشر من شهر جمادي الثانية عام ألف وأربعمائة هجرية.

سبب التأليف

ولسبب تأليف هذا الكتاب ـ أو بالأحرى تقديم تأليفه على سائر مجلدات هذه الموسوعة ـ قصة طريفة تترك الإمام الشهيد قدس سره يتحدث بها هو بنفسه لبعض زملائه، قال قدس سره وهو يتكلم عن ذلك:

«عندما كنت في سجون البعثيين في العراق، وتحت التعذيب الوحشي القاسي توسلت ذات مرة بمولاي وسيدي صاحب الزمان الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ أن يتولى نجاتي من هذه المظالم، وعاهدت الإمام عليه السلام لقاء ذلك أن أقوم بتأليف كتاب يجمع ماروي عنه عليه السلام من زيارات،

وأدعية، ورسائل، وسائر كلماته الشريفة.

وراحت الأيام والليالي، ومضت الشهور تلو الشهور على إقامتي في السجون المختلفة في بغداد وبعقوبة حتى خلّصني الله تعالى ـ بدعاء صاحب الأمر عليه السلام ـ وفرّج عني وخرجت من سجون البعثيين ولله الحمد.

وبعد فترة من الزمن جائني أحد أقربائي ليقول لي:

رأيت في عالم الرؤيا نورانياً مهيباً قال لي: قل للسيد حسن الشيرازي حان الوقت لأن يفي بعهده لصاحب الأمر عليه السلام في تأليف الكتاب.

وكان الشخص ذاك لايدري عن عهدي، لأني لم أكن قد حدّثت به بعد.

فعزمت على ذلك وصرت أجمع المصادر المحتاج إليها لمثل تأليف هذا الكتاب.

ثم جائني بعد مدة شخص آخر وقال لي مثل ماقال الأول ـ من غير ترابط بينهما ولا صحبة ولا سابقة إطلاقاً ـ: «رأيت في الحلم ـ في عالم الرؤيا ـ أن صاحب الأمر عليه السلام يطالبك بعهدك معه عن الكتاب...».

واشتد عزمي وبدأت في تأليف هذا الكتاب «كلمة الإمام المهدي عليه السلام».

قال آية الله الشهيد قدس سره:

وبعدما أنجزت القسم المهم من الكتاب رأيت مايلي في عالم الرؤيا:

رأيت شخصاً مهيباً، طويل القامة، جميل المحيا، له هيبة الأنبياء، وجلال الصدّيقين، ووقار الخاشعين، لابساً حلّة بيضاء قد توجه إليَّ، ـ فظننته

صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام ـ وقمت إجلالاً له، وتقدمت أنا إليه، فلما اقتربنا أخذت بيده لأقبله، فبدرني هو وقبّل يدي.

فلما قبل يدي علمت أنه ليس الإمام المهدي عليه السلام.

فسألته عن نفسه وقلت له: من أنت؟

فقال: أنا من قبل وليّ الله.

وأحسست في عالم الرؤيا أن الرجل رسول من قبل الإمام المهدي عليه السلام جاء إليَّ شاكراً لتأليف هذا الكتاب.

قال آية الله الشهيد قدس سره: ولأول مرة أرى رؤيا مثل هذه عن واحد من تأليفاتي، وأسأل الله تعالى أن يقرنه برضاه، ويرضى عني مولاي وسيدي صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر صلوات الله عليه، الذي هو طريقي إلى مرضاة الله تعالى.

قال الراوي للقصة: كان آية الله الشهيد قدس سره يحدثنا بهذه القصة ونحن بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة المنورة، في طريقنا إلى الحج في العام الماضي.

ونحن إذ نقوم بإحياء هذا التراث القيم وإنجاز هذه الأمنية (للسيّد الشهيد الشيرازي قدس سره لطبع (كلمة الإمام المهدي عليه السلام) ونشرها على الأفق الثقافي في العالم.

نأمل ونسأل الله تعالى الأمور التالية:

أولاً: أن يعجل في فرج صاحب هذه الكلمة الإمام المهدي عليه السلام ليطهر

الأرض من كل ظلم، وينشر في الناس راية العدل الكامل والشامل.

ثانياً: أن ينتقم لهذا الدم الزَّكي، ولسائر الدماء الزَّكية التي أراقتها هذه الزمرة الظالمة الحاكمة في العراق اليوم، وينقذ الإسلام والمسلمين من شرورهم ومفاسدهم ومذابحهم.

ثالثاً: أن يوفقنا الله تعالى لتكميل باقي كتب هذه الموسوعة الضخمة (موسوعة الكلمة) لتخرج إلى النور ويستفيد منها العالم بأسره في كل زمان وكل مكان.

والله هو الولي لذلك كله وهو حسبنا

مؤسسة دارالمهدي والقرآن الحكيم

الحسينية الكربلائية ـ اصفهان

إهداء

إلى أمي التي أعطتني
كل شيء ولم أعطها
شيئاً..أقدم ثواب
كتابة هذا الكتاب في
ذكرى وفاتها الأولى

ابنك حسن

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم أنبيائه والسلام على خاتم خلفائه، وعلى عباد الله الصالحين.

الناس ـ عادة ـ يؤمنون بالمألوف بلا محاكمة، لا لأنهم استوعبوه، وإنما لمجرد أنهم وجدوه واقعاً إلى جانبهم، أو لمجرد أنهم وجدوا المجتمع يردده من حولهم.

فالجميع يعترفون بالشمس، لأنهم وجدوها منذ فتحوا أعينهم للنور، ولو لم تكن الشمس في مرمى أنظارهم ووصفت لهم بحجمها الضخم وحركتها الدقيقة السريعة ولهيبها القوي العالي دون أن يأكل من جرمها شيئاً مدى مليارات السنين، لما اعترفوا بها...ولكنهم حيث وجدوها، اعترفوا بها، وحاولوا أن يفلسفوا غوامضها ـ في كل جيل حسب الأفكار الحاكمة عليه ـ ليجعلوها مطواعة لمرتكزاتهم.

ومن هذا النوع اعترافهم بالأرض والنجوم والأجواء وسائر الظواهر الكونية.

وعملية تكوّن الإنسان، وتسلسله معترف بها من قِبَل جميع الناس، لأنهم

تكوّنوا بها ويجدون الآخرين يتكوّنون بها، أما لو كان الإنسان بدواً من الأرض، وكان يقال له: أن نوعاً من الحيوان يتكوّن بتلاقح الدورة المنويّة من الذكر بالبويضة من الأنثى، وكانت توصف له عملية الإنجاب حتى الولادة لكان يعتبرها خبطاً في الخيال، كما يصعب عليه الإعتراف بأن جده آدم عليه السلام خلق بدواً من التراب، وكما يصعب عليه الإعتراف بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب...لا لشئ إلا لمجرد أنه لم يألف إلا طريقة واحدة في خلقة الإنسان.

ومن هذا النوع إعترافهم بطريقة خلقة المبيضات، وطرائق خلقة الزواحف والهوام والبراغش وسائر الحيوانات والنباتات الترابية والمائية.

فاعترافهم بالظواهر الكونية وطرائق الخلقة في مسلسلات المخلوقات ليس ناتجاً من استيعابها وتصديقها، وإنما هو وليد ضغط الأمر الواقع على الذهنية العامة للتسليم له.

والناس ـ جميعاً ـ قبل القرن العشرين كانوا يعترفون بمعطيات (هيئة بطليموس) من تراكب السماوات السبع والعرش والكرسي وتراكب الأرضين السبع كطبقات البصل ـ حسب تعبيراتهم ـ ومن كون الأرض مركز الكون، ومن حركة جميع السماوات والكواكب والنجوم...إلى آخر معطيات فلسفة أرسطو وطب جالينوس وسائر العلوم التي كانت سائدة في تلك الأجيال، وماكان يتردد أحد في شئ منها إلا ويتهم بالخيانة العظمى ـ متمثلة في الكفر والزندقة والإلحاد ـ ثم يعدم قتلاً بالسيف أو جلداً بالسوط أو حرقاً بالنار.

ومن هذا النوع كان اعترافهم بالروحانيات والعلوم الغريبة.

وهم ـ جميعاً ـ في هذا القرن يعترفون بجميع معطيات العلوم الحديثة من الفسيولوجيا والبيولوجيا والتكنولوجيا، وإنتهاءاً بالنسبية العامة والديالكتيك، ولايتردد أحد في شئ منها إلا ويتهم بالخيانة العظمى ـ متمثلة في السخافة والجمود والرجعية ـ ثم يعدم طرداً عن المجالات الحيوية.

ومن هذا النوع إنكارهم للروحانيات والعلوم الغريبة.

لا لأن أولئك اعترفوا بمعطيات علومهم عن إستيعاب وتصديق، ولا لأن هؤلاء يعترفون بمعطيات علومهم عن إستيعاب وتصديق...وإنَّما لأن كل واحد من أولئك عندما تفتق فيه الوعي وجد المجتمع من حوله يردد أشياء فرددها معه، كما يكرر عاداته وتقاليده معه، شأن الطفل الذي يدخل مدرسة، فيردد مع زملائه أناشيدهم ويرفع صوته أو يخفضه معهم، ربما دون أن يفهم حرفاً منها.

ولذلك حارب الناس جميع الأنبياء والمصلحين والمجددين وأوائل المكتشفين، لا لشئ إلا لأنهم طرحوا أفكاراً لم يكن يرددها المجتمع، فمن استطاع منهم أن ينجو من الإعدام، ويواصل الكفاح حتى يقنع المجتمع بأفكاره أصبح عظيماً تنحني أمامه رؤوس من بادروا إلى حربه بلا هوادة..لا لأن أفكاره كانت مغلوطة في بادئ الأمر ثم صححها في أُخريات أيَّامه، إنَّما لأن المجتمع لم يكن يرددها ثم استطاع أن يلقنها للمجتمع.

وبهذه البيغاوية نعاهم القرآن معزياً رسول الله، قائلاً: **﴿ذلك مبلغهم من**

العلم﴾ [1] وأعْذَرَهُم الرسول متجاوباً مع القرآن، قائلاً: ﴿اللهم إهد قومي فإنهم لايعلمون﴾.

الحضارة والتكتلات:

والناس ـ في القرن العشرين ـ تمزقوا بفعل عاملين:

١ ـ عامل الحضارة المادية، التي تصاعدت بقوة لتصنيع أكثر مظاهر الحياة حتى بهر وهجها الألباب، فافتتن بها قطاع كبير من الناس، ظانين أنها القمَّة النهائية للحياة، فجرفتهم إلى الإلحاد بكل ماوراء المادة.

٢ ـ عامل التكتلات الدينية التي تصاعدت بقوة ـ في تنظيمات رجال الدين وفي تجمعات سياسية ـ حتى كادت تغطي ثلثي المجتمع، فتجاوب معها قطاع كبير من البشر، قائلين بأن الحضارة المادية لاتعبر إلا عن وجه واحد من وجهي الحياة.

هكذا تمزق الناس بفعل هذين العاملين، فمن كان قريباً من قواعد الحضارة المادية تمسك بمعطياتها واعتبر الدين مرحلة تجاوزها الإنسان، ومن كان قريباً من قواعد التكتلات الدينية تمسك بمعطياتها، واعتبر المادية وسيلة لتجاوز الحياة، أما الأكثرية الساحقة من الناس، فأخذوا بمعطيات الحضارة المادية، لتنعيم الحياة وتسهيلها، متسترين بغطاءٍ رقيق من الإيمان بمجمل الأديان، من الإعتراف بوجود الله، وصحة كتبه وصدق رسله في التبشير بالحياة الآخرة، وأما التفاصيل والفروع فلا يجدون مايلزمهم بها، وربما لايجدون من يقنعهم، وقد لايجدون وازعاً داخلياً يدفعهم إلى الإهتمام

---

(١) النجم: ٣٠.

بها، وإهمال مباهج الحياة ومشاكلها، فيفضلون الإكتفاء من الدين بـتزويد مايردده المجتمع، وأكثر المجتمعات لايردد من الدين إلا معطياته المتجاوبة مع المفاهيم المألوفة في الذهنيَّة العامة.

وإذا عرفنا أن الذهنية العامة تؤمن بالمألوف بلا محاكمة، وترفض غـير المألوف بلا مناقشة، عرفنا لماذا يكون إيمان الناس ـ غالباً ـ غطاءاً رقـيقاً يتسترون به.

من هنا نعرف السبب في تهرب الناس ـ عادة ـ من الخوض في الحـوار حول القضايا الفكرية من الأديان، وفي إتهامها بأنها قضايا ميتافيزيقيّة، أو بأنها قضايا إيمانيّة مجردة لاجدوى منها، وفي محاولة إنكار مردودها، مهما كان مردودها في حياتهم الفردية والإجتماعية.

ومن هذه القضايا:

١ ـ قضية الروح وتطوراته.

٢ ـ قضية الروحانيات غير المحسوسة كالملائكة والجن والشيطان.

٣ ـ قضية المعجزات وكيفية صدورها.

٤ ـ قضية حكومة الإنسان في سائر المخلوقات.

٥ ـ قضية المصلح المنتظر، التي تعبر عن معادلة الخير والشر.

وهذه قضايا طرحتها الأديان، ولها نتائجها الإيجابية الكبيرة.

قضية المصلح المنتظر عليه السلام:

ولسنا في هذه المحاولة، إلا أمام القضية الأخيرة، وهي قـضية المـصلح

المنتظر عليه السلام ، التي تعبر عن إحدى المعادلات الثابتة ، لأنها تـتعلق بـإحدى الغرائز المتأصلة في البشر.

فالبشر ـ بمقتضى تركيبته الخاصة ـ لايستقيم على طريقة ، بِغَضِّ النظر عن هوية الطريقة ، فلايبقى على الحق ، ولايدوم على الباطل ، ولايواصل الخير ، ولايستمر على الشر ، ويكره الديمومة على شئ ، مهما كـانت حـقيقة ذلك الشئ ، وإنما يفضل التأرجح بين الأضداد ، فالشجرة تدأب في منهجها ابتداءً من إنطلاقها من النواة حتى نهايتها بلا تمزق بين المناهج ، والجبل يواصـل برنامجه منذ نشوئه حتى إنتهاء عمره الطبيعي بلا تبعثر بين البرامج ، والنجمة تنفِّذ خطَّتها من ميلادها حتى وفاتها بدون أدنى إنزلاق ، والنحلة تؤدي كل واجباتها حتى تسقط ضحية في مسيرة الواجب بلا تردد ، ولكنه الإنسـان ، الذي لايستطيع توظيب حياته في خط **﴿..فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرها ، قالتا أتينا طائعين﴾** .

ولعل غريزة التأرجح بين الأضداد ـ أو غريزة التطور ـ وُكّلت بـالإنسان لتقليبه في المعادلات المختلفة ، حتى تكشف كل مخابئه ، وتنمي كل مافي أعماقه من نوايا وركائز ، فتحقق بذلك هدفاً من أهداف الحياة ، وهو تجربة الإنسان: **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقاً لنفتنهم فيه﴾** (١)

فاستجابة لهذه الغريزة نجد الإنسان دائم الإندفاع بين أقـطاب الإغـراء الكثيرة المتنوعة ، فهو يحب الشئ ويتدفَّق نحوه بلهفة حتى إذا تشـبع مـنه

---

(١) سورة الجن: ١٥ ـ ١٦.

أعرض عنه واتجه نحو ضده بشدة.

● مثلاً: إنّه يحب السفر، فيواصله حتى يجوب الأقطار التي كان يفكر فيها، ثم يخلد إلى مدينته فلا يخرج منها مدى سنوات، ثم يبدأ من جديد رحلات واسعة.

● مثلاً: قد ترى إنساناً محافظاً لاتذكر له هفوات، ثم تجده ينفلت بعشوائية، وبعد حين يعاود سيرته الأولى.

● مثلاً: قد يظهر جيل محارب يتتبع الخلافات البسيطة، فيتمسك بها لإشعال الفتن والحروب، يعقبه جيل مسالم يتنازل عن أغلى مالديه هروباً من المواجهة المسلحة.

● مثلاً: قد يقبل الناس على الأدب أو المسرح أو الرسم، حتى يقدّمونه على الخبز والماء، ثم يعرضون عنه حتى يفلس تجَّاره.

وهكذا الدين، قد يظهر نبيّ أو إمام يحرك فطرة الناس في إتجاه الدين فيتهافتون على جوامعه ومجامعه بإندفاع مخيف، ثم تتوتر الفطرة فيهم فيتجاهلون كل شئ منه بحيث يتحير دعاته، ويتساقطون تحت تيار الإلحاد، ولايأخذ التيار مداه، حتى يبدأ بالإنحسار، ويثوب الناس إلى رشدهم في إتجاه الدين من جديد، وكأنَّه يطرح عليهم لأول مرة، ولم يطرح عليهم لأول مرة، وإنَّما هي دورة البشر الذي لايطيق السير على خط واحد.

ولهذا كلما ظهر نبي أو إمام، واستطاع أن يعلي كلمة الدين ـ عرف أن

ثورته تستهلك بعده، وأن خلفائه يعانون الثورة المعاكسة ـ فيبشرهم بأن الردة لن تكون القاضية، وأن المطاف الأخير سيكون لدينه، وإن الله سيظهر من يجدده، ويقود الناس إلى الصراط المستقيم.

فما من نبي إلا وبشر بمصلح عالي الصوت، شديد الوطئ، يحرك التيار، وأمر الناس بالصبر عبر الخريف، وانتظار ذلك المصلح، والإلتفات حوله إذا أدركوه.

لقد بشر نوح بإبراهيم، وبشر إبراهيم بموسى، وبشر موسى بعيسى، وبشر عيسى بمحمد، وبشر محمد بظهور المهدي ونزول المسيح، عليهم الصلاة والسلام.

فما ظهر دين إلا وطرح فكرة المصلح المنتظر، والديانات الحية اليوم كلها تتهيأ لمصلح منتظر وإن اختلفت الأسماء، فاليهودية تبشر بالمسيح، والمسيحية تبشر بأحمد، والإسلام يبشر بالمهدي.

معطيات الفكرة:

وإذا أغمضنا النظر عن الأسماء، نجد أن فكرة المصلح المنتظر تعني:

١ ـ واقعية الأديان في إستيعاب المستقبل، وفي إستيعاب دورة البشر في الإتجاه نحو الدين والإنحراف عنه، وفي الأخبار عن هذه الدورة.

٢ ـ تطمين المبشرين بأن لهم المطاف الأخير، حتى لا ييأسوا مهما ارتفعت درجة معاناتهم، ومهما استبدَّت الثورة المعاكسة بالأجواء.

٣ ـ تيئيس العاملين ضد الدين وضد المبشرين به، من نجاحهم في العمل ضد الدين، فإذا استطاعوا أن يهرجوا يوماً أو أياماً، فلا يعني ذلك أنهم أضحوا سادة الموقف، فالدين هو الخط الصحي العام، والإنفلات فوضى لن تدوم.

٤ ـ تهيئة المؤمنين بالدين لإستقبال المصلح المنتظر، حتى يظلوا متأهبين له، وتأهبهم له يساوي إبقاءهم موفوري القوى، وهذا يخدمهم قبل أن يخدم المصلح المنتظر، لأنهم لايؤخذون على حين غرة من قِبَل أعدائهم.

ولايجمدهم الخمول، فهم ـ دائماً ـ تحت الإنذار، يراقبون الأجواء بلهفة وحذر.

٥ ـ تمهيد الأرضية الصالحة للمصلح المنتظر، حتى إذا انتفض لايجد نفسه غريباً يبني ابتداء من الحجر الأساس، وإنما يجد نفسه يرفع البناء على أساس من سبقه، وهكذا كان، فلم يبعث نبي إلا وجد من ينتظره [1]، ويسعى إليه من أقاصي الدنيا بهيام عميق، وهذه الظاهرة مما أوفدت أخوة الأنبياء، فكل واحد منهم كان مبشراً به من قبل السابقين عليه، فيصدق السابقين عليه ويبشر اللاحقين به، ويقوم بدور الحلقة الواحدة في المسلسل البعيد الطرفين، وليس الإمام المهدي المنتظر إلا حلقة في هذا المسلسل من

---

(١) يلاحظ قوله تعالى: ﴿وكانوا يستفتحون على الذين كفروا﴾ إلى آخره وغيره، ويلاحظ تفاسير القرآن عند الحديث عن ذلك.

المبشّرين بهم والمبشرين بغيرهم.

ظاهرتان: اليأس والتشكيك:

وهنالك ظاهرتان تكتنفان المؤمنين الذين يعيشون في الفترة بين الأنبياء والأئمة:

الأولى: ظاهرة اليأس كلما طالت الفترة، ولم يظهر المصلح الموعود به، وربما كانت الفترة تَسَعْ عدة قرون وتستهلك بضعة أجيال، فكان الناس يشككون في الأحاديث المبشّرة به، وخاصة في الفترات السابقة التي لم يكونوا يمتلكون وسيلة لنقل الحديث سوى ذاكرة الرواة.

الثانية: ظاهرة التشكيك في مقدرة المصلح الموعود به على تغيير الأجواء، لأنهم كانوا يرون التقدم المادي للبشر، وكانوا يظنون أن النبي اللاحق سوف يستخدم الوسائل التي اتَّبعها النبي السابق، فكانوا يجدون تلك الوسائل غير مجدية، فيعتريهم الشك في قدرته على إنقاذ الناس من براثن السلطات الغاشمة المزودة بالأسلحة الجديدة.

دور إبراهيم الخليل عليه السلام:

● فمثلاً: في عهد إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن للملوك جيش نظامي، ففي أيام السلم حتى خدم الملك مزودون بالسلاح ويؤدُّون دور الحرس، والشرطة، وفي أيام الحرب يدعى الناس إلى النفير، فينفرون بأسلحتهم، ولذلك جند إبراهيم الخليل عليه السلام جيشاً من المؤمنين به، وقاتل في الشام،

وانتصر.

دور موسى عليه السلام:

فلما ظهر الفراعنة في مصر تطور الأمر من ناحيتين:

الأولى: أن الفراعنة حاولوا تأسيس امبراطورية واسعة ـ في ظل دعوى الربوبية ـ فأسسوا جيشاً نظامياً، ووجهوا فصائله إلى الأقطار المجاورة، من أجل إخضاعها لحكم الفراعنة.

الثانية: ظهر في أيامهم السحر، وتقدم بسرعة مذهلة، فكان الملك الفرعوني يحكم بسلطتين: سلطة جيش نظامي جرَّار، وسلطة سحرة أشدَّاء، والمؤمنون الذين كانوا ينتظرون ظهور موسى بن عمران، كانوا يظنون أن موسى بن عمران ـ حينما يظهر ـ يستخدم الأساليب والوسائل التي استخدمها إبراهيم الخليل عليه السلام فكانوا يشكُّون في انتصاره على الفراعنة، وما كانوا يعلمون أن موسى بن عمران عليه السلام يظهر بتسع آيات بينات يتضاءل أمامها السحر والسحرة، وبقوة عصاه التي تلقف ما يأفكون، وبقوة البحر الذي يبتلع فرعون وجنوده، ما كانوا يعلمون ذلك، فكان من الطبيعي أن يشكُّوا في انتصار موسى بن عمران على الفراعنة.

فلما جاء موسى بن عمران بتلك الوسائل عرف الناس أن أنبياء الله قد يأتون بمثلها.

وقضى موسى بن عمران على اسطورة السحر الذي لايقهر، والجيش

الذي لاينهزم، والملك الذي لاتطاله قوة حتى يقول: أنا ربكم الأعلى.

دور عيسى عليه السلام:

● ومثلاً: تطور الأمر بعد موسى بن عمران، فظهر في الناس فراعنة من نوع جديد، لايقهرون أجسام الناس بالسحر والجنود، وإنما يقهرون عقول الناس بالعلم، وليس بأي علم، وإنما بعلم إنساني يحتاج إليه جميع الناس، ظهروا بعلم الطب، وبالإخبار عن الغيبيات، وتقدموا فيهما، حتى كان أحدهم يحيي الميت إذا عرض عليه قبل أن يبرد جسمه، ويفحص المريض بمجرد إلقاء نظرة على وجهه، ويخبر عما أكله المريض أو فعله.

فكان المؤمنون الذين ينتظرون عيسى بن مريم عليه السلام يظنون أنه سيظهر بمثل وسائل إبراهيم الخليل، أو بمثل وسائل موسى بن عمران، فكان من الطبيعي أن يشكّوا في مقدرة عيسى بن مريم على دحر قادة الإلحاد، المتسلحين بالعلم النافع، وماعلموا أن الله سينصر رسله في كل زمان بالوسائل المناسبة.

فظهر عيسى بن مريم عليه السلام بالعلم المتفوق، فقال: أنا أبرئ الأكمه والأبرص وسائر المصابين بالأمراض المستعصية، لا بالدواء، وإنما بمجرد مسحة يد، وأحيي، لا الميت الجديد الذي لم يبرد جسمه بعد فقط، وإنما أُحيي كل الأموات حتى الميت الرميم ﴿**وإني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله**﴾، وهذا مالا يدَّعيه طبيب وإني أخبركم لا بما أكله

المريض أو فعله فأصيب فحسب، وإنما أخبركم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم، فهزم فراعنة العلم بسلاحهم.

دور رسول الإسلام ﷺ:

● ومثلاً: تغيّر الأمر بعد عيسى بن مريم، وخاصة في جزيرة العرب، حيث البشائر تمتد نحوها قاعدة للنبي الذي يظهر بالسيف، فبرزت في الجزيرة ظاهرتان:

الأولى: ظاهرة البلاغة الفائقة، التي تجعل من الكلمات اليومية البخسة، والعواطف الرخيصة، عالماً حياً زاخراً بالحكمة والصور والألوان...إنَّنا اليوم لانستطيع أن نستوعب عظمة المعلقات السبع، ونحن مبهورون بوهج القرآن ومانبثق عنه من كلام النبي وآله عليهم السلام، ولكن تجربة عابرة للمقارنة بين المعلقات السبع وبين أي كلام سبقه تكفي للدلالة على ماكان لها من بريق مخيف.

الثانية: ظاهرة الفوضى المسلحة، التي تجعل أي إنسان مهما تعالى، مهدداً بالتصفية الجسدية من قبل أي إنسان آخر مهما تدانى، وفي كل اللحظات، وفي جميع الحالات...وهذه الظاهرة تجعل كل من يفكر في الحق والعدل والإنصاف وسائر المثل والقيم الرفيعة، يعتبر هرويه من مثل هذه الجزيرة الساخنة أكبر إنتصاراته في الحياة لاخوفاً على حياته أن تهدر بلا مبرر فقط، وإنَّما خوفاً أن يورّط في معركة تافهة تجرده من كل معنوياته

وقيمه بلا بدل، فكيف بنبي يكون رمز السماء على الأرض، ويريد أن يقود النصف المتقدم من البشر في مسيرة الفضيلة والكمال إلى الإنسانية العليا؟

والمؤمنون الذين كانوا يقتاتون إنتظاره، ويعرفون الوسائل التي استخدمها كل من إبراهيم الخليل وموسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهم السلام، كانوا يظنون أن النبي الجديد يظهر بما يشابه تلك الوسائل، فكانوا يرون أنّها متفرقة أو مجتمعة لاتجدي شيئاً في مجتمع البلاغة والفوضى، فيشكّون في إنتصار النبي الجديد.

فأظهر الله نبيه الكريم وبقرآن يعلو ولايعلى عليه، فلم تنزل سورة (فاتحة الكتاب) حتى عمد أساطين البلاغة إلى نزع المعلقات السبع من جدران الكعبة ليلاً، حتى لايعابوا بها، وبسيف، لم يشارك في الإعتداء، وإنما قضى على الإعتداء، فلم يضرب به أحداً إلا دخل النار وعابه الناس، فاستأصل أوبئة الفوضى وأبرأ الجزيرة من جنونها، ولم يبلغ عدد ضحاياه سبعمائة شخص، في جميع حروبه وغزواته وسراياه، فاستطاع ذلك السيف ذاته وبتلك الدماء ذاتها، أن يكتب على لوحة الجزيرة لافتة تشخص أبصار كل من حمل السلاح إلى الأبد: **﴿إنَّه من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنَّما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنَّما أحيا الناس جميعاً﴾** [1]، **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً**

---

(١) المائدة: ٣٢.

عظيماً﴾ [1].

فكان قرآنه مطمحاً لكل قرآن، وكان سيفه تجربة لإلغاء السيف، فكان انتصاره الذي فاق كل الإحتمالات والتوقعات وبزّ كل التنبئات، فإذا بشعب الجزيرة الفوضوي، يمتد برسالته في كل إتجاه، لينشر الإيمان والحضارة والخير، وليؤسس دولة ذات سيادة عالمية، لم تظهر بمواصفاتها دولة لا من قبلها ولا من بعدها حتى الآن.

وهكذا انتصر داوُد بشكل وانتصر سليمان بشكل، وانتصر يوسف بشكل، وهكذا غيرهم..وغيرهم من سائر رسل الله وأنبيائه الكرام.

هذا فيمن نعرف من رسل الله وأوضاع مجتمعاتهم والوسائل التي انتصروا بها، وهكذا فيمن لم نعرف من رسل الله وأوضاع مجتمعاتهم والوسائل التي انتصروا بها، ولكن مجمل مانعرفه عنهم أنهم انتصروا جميعاً، وانتصارهم يكفي للدلالة على أنهم كانوا أقوى من مجتمعاتهم، وأنهم جميعاً فاجئوا مجتمعاتهم بأساليب ووسائل لم تكن في الحسبان، وسواء أسميناها معجزات أو أسميناها كفاءات [2]، فجوهر القضية واحد، وهو أنهم تفوقوا على كل القدرات الحاكمة في عهودهم، فلتتقدم المجتمعات ولتتطور،

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) إنما ذكرنا لفظ الكفاءات أيضاً تمشياً مع من يفرون من الألفاظ لنستوقفهم كي يتذكروا ويتدبروا وإلا فالمعجزة كفاءة خاصة جعلها الله تعالى في أفراد معينين من البشر.

ولتحشد مااستطاعت تحشيده من طاقات وأساليب، فإن الله سيزود رسله وأوصياءهم بما هو أقوى وأعلى، وسيجعل ﴿**كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا**﴾ [1]، ﴿**كتب اللهُ لأغلِبنَّ أنا ورسلي إنَّ الله قوي عزيز**﴾ [2] [3].

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) يبقى في مجال التحليل الروحي البحت، بحثٌ لم أعرف من سبق إليه، ولعلّي أول من يطرحه، ولا أطرحه لإتخاذ موقف معين، وإنما ليكون إشارة الضوء على هذا الطريق الذي قد يعود بحصائل ترفد كثيراً من الغوامض، وتساهم في الإجابة على العديد من المعضلات الروحية، وتمهيداً لهذا البحث الذي سوف أطرحه في صيغة سؤال نقول:

يمكن أن نسمي مجتمع إبراهيم الخليل بـ(مجتمع الإيمان والتسليم) فالناس كانوا ـ بعد الطوفان ـ مؤمنين ومسالمين، ولكنهم اخطأوا في توجيه الإيمان إلى الأصنام ونمرود، ونمرود ذاته وجد أن الإيمان هو الطابع العام فاستغله لمصلحته الشخصية وصنع الجنة والنار، وحمورابي وجد أن التسليم ظاهرة عامة فاستغله لوضع قانونه، وإبراهيم الخليل في حد ذاته كان إيمانياً، والجانب الإيماني أبرز ظاهرة طبعت حياته، فشيد الكعبة، وكرس المجتمع في إتجاه العبادة، وشرع الحج.

ويمكن أن نسمي مجتمع موسى بن عمران بـ(مجتمع السحر والعسكر) فاتجه الناس إلى استلهام القوى المنظورة والخفية، فعبدوا رمز القوة، فرعون، وخنعوا لجنوده، وقدسوا سحرته فكانوا مع القوة ولكنهم أخطأوا في تحديد القوة التي يصح اتباعها، وموسى بن عمران عليه السلام كان رمز القوة في أعلى درجاتها، فهو رسول الله الذي خلق السماوات والأرض، وقد انتزع فرعون من عرشه وغلوائه، وأطبق البحر عليه وعلى جنوده، وأتى بتسع آيات ←

← بينات أذهلت جميع المتعاملين مع القوى الخفية حتى ﴿قالوا آمنا بسرب العالمين رب موسى وهارون﴾ الأعراف/ ١٢١ ـ ١٢٢.

ويمكن أن نسمي مجتمع عيسى بن مريم بـ(مجتمع الطب والمغيبات) فاتجه الناس إلى الأطباء والمخبرين عن المغيبات، حتى منحوهم السيادة والقيادة، واتبعوهم في كل مايقولون ومايتنبأون، وتكريم الأطباء مقبول، فالطب علم انساني مستحب، واحترام المخبرين عن المغيبات معقول ـ إذا كان معتمداً على أسس مشروعة ـ ولكن المغالاة في حقهم حتى اتباعهم في الإلحاد، وتقديم كلمتهم على كلمة الأنبياء مرفوض، وعيسى بن مريم عليه السلام تجلت معجزاته في تحديات فيسيولوجية، جسدية، يكن تنظيرها بالطب من صياغة طين بهيئة الوطواط والنفخ فيه لينطلق طيراً في الهواء، وشفاء المصابين بالأمراض المستعصية بمسحة يد، وإحياء الأموات ـ الذين ابيضت عظامهم في ظلام اللحود ـ بكلمة، وفي الإخبار عن المغيبات حتى مايكتنزه الناس في بيوتهم.

ويمكن أن نسمي مجتمع الرسول الأعظم ﷺ بـ(مجتمع البلاغة والسيف) فاتجه الناس إلى عبادة البلاغة والسيف، فلم يكن يستحوذ على مشاعرهم إلا رجل البلاغة، ولم يكن يهيمن على حياتهم إلا رجل السيف، والبلاغة في التعبير فضيلة، والسيف لفتح الطريق أمام الحق لابد منه، والإنحراف في ذلك أن يكون رجل البلاغة أو السيف حاكماً غير مسؤول، والرسول الأعظم ﷺ بلغ في البلاغة درجة التحدي العام المطلق **﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾** سورة البقرة/ ٢٣ ـ ٢٤.

وبلغ في مقدرته على حمل السيف، أن أعاد الجزيرة إلى صوابها دون أن يقتل سبعمائة رجل، وكانت قبله دولاب دم، ومفرمة بشرية.

←

← وإذا استعرضنا مجتمعات الأنبياء نجد التجانس بينها وبينهم، بفارق واحد، وهو أنها كانت على باطل، وأنهم كانوا على حق.

إذن فالتجانس بين الأنبياء ومجتمعاتهم موجود وواضح: والسؤال هو:

● هل المجتمعات هي الأصل، والأنبياء كانوا إمتداداتها؟ أو أن الأنبياء هم الأصل والمجتمعات كانت إمتداداتهم؟ مع العلم أن مايؤيده الإختبار الخارجي والقرآن الكريم والسنة المطهرة هو الثاني دون الأول.

وبتعبير أوضح:

● هل المجتمع هو الذي يتقلب في أطواره المختلفة، فتقوده محركاته الذاتية في كل بضعة قرون إلى طور معين، نتيجة لتفاعلاته الداخلية المعقدة، كما يغير النهر مجراه بعوامله الخاصة، وكما تغير الأرض مظاهرها الجغرافية وفق معادلاتها الباطنية، فتجعل من قاعات بحار قمم جبال، وتجعل قمم جبال قاعات بحار.

أو أن الأنبياء ـ وأصحاب الولاية منهم بصورة خاصة ـ طاقات كونية كبيرة، فهم المحركات الأساسية للمجتمعات، فحينما يتجه أي واحد منهم إلى الوجود البشري، تسبقه موجاته وخصائصه إلى المسرح البشري ـ وهذه ماتسمى في لغة العصر الحديث بـ(الإرهاصات) ـ فتلقفها المشاعر المرهفة في الناس، وإن كانت محطات الإستقبال الشعورية، تلونها في كل فرد بطابعها الخاص، فتظهر موجاته وخصائصه من خلال كل واحد بشكل، فينال كل فرد زخماً جديداً يرفعه إلى مستوى أعلى من مستواه الذي كان عليه قبل إتجاه نبي زمانه إلى الوجود البشري، ولاينافي ذلك أن يزداد السعيد سعادة وأن يزداد الشقي شقاوة.

تماماً كالنجوم، فكل نجمة تقترب من الأرض، تسبقها كهربتها الخاصة إلى سطح الأرض، فتكون زخماً جديداً ينشط الكائنات الحيّة وإن كانت تلك الكهربة ـ نتيجة للتفاعلات ←

هاتان الظاهرتان موجودتان، بخصوص الإمام المهدي المنتظر:

أ ـ ظاهرة اليأس:

الأولى: ظاهرة اليأس منه، فقد طالت فترة غيابه، أكثر مما كان يتوقع، فقد تفانت الأجيال تلو الأجيال وهي تترقب ظهوره سنة بعد سنة، واسبوعاً بعد

← المختلفة ـ تصطنع في كل كائن حي بطابعه، فتكون حدّة في الشوك وسماً في الأفعى، وروعة في الوردة، ووهجاً في المعادن.

أرأيت الشمس، كيف يبادر شعاعها إلى الأفق؟ ثم كيف يعزز ذلك الشعاع في المواشير؟ وكيف يطبع بطابع الزجاجات المختلفة التي يمر عبرها؟ وكيف يمنح العيون صفاءً، ويزيد الفحم عتمة، ويعطي الصخر صلابة، ويعقد في السنبلة حبة، ويخلع على الأشجار وشاحاً أخضر؟

هكذا نجد خصال كل نبي في قومه، والسؤال الذي بدأنا به:

● هل النبي أخذ خصاله من قومه، وبلورها في صيغة نبوية؟ أو أن النبي منح خصاله لقومه، فطبعها كل واحد منهم بطابعه الخاص به؟... ولاشك أن الثاني هو الصحيح الذي دلت عليه الآيات والروايات والواقع الخارجي.

وإذا أردنا الإنتقال من أوضاع الأنبياء وتفاعلاتهم مع مجتمعاتهم إلى وضع الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وتفاعلاته مع مجتمعه، نجد أن خصائصه بدأت تظهر على المسرح البشري منذ أوائل القرن العشرين، فأبرز خصائصه(العلم والقوة) علم يستثمر كل طاقات الأرض والفضاء، فيعيش كل فرد حتى يرى إبناً من صلبه دون أن يكتسحه بؤس أو عناء، وقوة تلف الأرض براية واحدة، وتدع الذئب يرعى مع الغنم في قطيع، وقد بدأ العلم والقوة يطبعان المجتمع البشري كله وفي كل المجالات، بشكل سريع يوحي بأن نجمة العلم والقوة قد اقتربت من الأفق وحان ظهورها للأبصار.

اسبوع، وربما يوماً بعد يوم، وكم كان الذين وجدوا بعض علائم ظهوره، فوقفوا على أهبة الإستعداد لتلبية ندائه، وماكانوا يرقدون في الليل إلا ويتوسَّدون أسلحتهم، حتى إذا أهاب بهم المنادي، لايكون لديهم مايعوقهم عن الإسراع إليه؟..وكم كان الذين قرأوا في الأحاديث:

أن توقيت ظهوره يصادف يوم الجمعة، فألزموا أنفسهم بالخروج إلى الصحراء صبيحة أيام الجمعة بكامل أسلحتهم، حتى إذا خرج يلتقيهم وكأنهم على موعد؟...وكم كان الذين رأوا في المنام أشياء أو قرأوا أحاديث، فطبَّقوها على وقت معين، فبادروا إلى تصفية حساباتهم قبل ذلك الوقت، حتى إذا خرج وقتلوا بين يديه لايكون عليهم شئ من حقوق الناس أو من حقوق الله؟...وكم كان الذين يؤجِّلون تصفية حسابات خصومهم إلى حين ظهوره، حتى يكون هو الذي يثأر لهم؟...

ثم يأتي الرجل في هذا اليوم، فيقرأ أو يسمع أن آباءَهُ ماتوا انتظاراً، ومرت مئات السنين ومئات السنين ولم يظهر الإمام المنتظر، فيمتلكه اليأس من ظهوره، أو يحدّث نفسه قائلاً: حتى لو كان الإمام المنتظر باقياً ويظهر في يوم من الأيام، فماالذي يشير إلى أنني سأراه، ولربما لايظهر إلا بعد مئات السنين أو آلاف السنين، كما لم يظهر حتى اليوم، وقد مر على غيابه أحد عشر قرناً ومئات الملايين من الشيعة في كل جيل ومن كل مكان يعدّون اللحظات في انتظاره، ثم يستنتج: إذن عليّ أن أجري كل حساباتي على أنه لايظهر مطلقاً،

أو أنه لايظهر في عهدي على الأقل، وقد عبَّر الإمام عن هذا اليأس السافر بقوله: (ستطول غيبته حتى يرجع عنه أكثر القائلين به).

ب ـ ظاهرة التشكيك:

الثانية: ظاهرة التشكيك في مقدرة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام على السيطرة العالمية، بعد ظهور الأسلحة الحديثة، وانتشار الأسلحة الذرية، والقواعد الجوية، والصواريخ الالكترونية ذات الآماد البعيدة، والقنابل الاتوماتيكيَّة المزوَّدة بالعقول الالكترونية...ولايعلم إلا الله ماستنتجه المعامل العسكرية من وسائل التدمير المخيفة إلى وقت ظهوره عليه السلام ...فكيف ينتصر على كل هذه الأسلحة المبيدة والملايين المتزايدة من الجنود التي تملأ القواعد العسكرية في أنحاء العالم، وخاصة إذا كان يظهر بالسيف ـ كما في بعض الأحاديث المبشرة ـ به مع أنه لم يعد للسيف مكان إلا في المتاحف الأثرية؟

ولعلنا نبحث الموضوع فيما يأتي بإذن الله تعالى.

ج ـ ظواهر جديدة أخر:

وبالنسبة إلى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام تضاف إلى هاتين الظاهرتين اللتين كانتا تطبعان كل المؤمنين في الفترة بين الرسل، تضاف إليهما ظواهر جديدة.

الثالثة: ظاهرة التشكيك في حياته حتى الآن، فقد مرَّ على ميلاده

الميمون صلوات الله عليه حتى كتابة هذه الأسطر ألف ومائة وإحدى وأربعون سنة هجرية، ونحن في دورة من عمر البشرية لاتأذن بأن يبلغ أي فرد مائتين من السنين مهما كانت ظروفه الصحية والمناخية ملائمة.

الرابعة: ظاهرة التشكيك في فائدة الإمام الغائب، فشأن الإمام شأن الرسول في أن الله يخوله قيادة المجتمع، فإن لم يستطع قيادته عملياً لأسباب يتحمل مسؤوليتها المجتمع ذاته، فلا أقل من قيادته الفكرية للمجتمع، فإن لم يستطع هذه أيضاً، فبماذا يعود على المجتمع؟...وماذا يهدف الله تعالى من إبقائه حياً، طالما لايأذن له بالإتصال بأحد من خلقه؟...

الخامسة: ظاهرة التشكيك في إيجابية فكرة الإمام المهدي لسببين:

الأول: تكريس اليأس عن جدوى أي عمل إيجابي قبل ظهوره، مادام الله سبحانه وتعالى قدَّرأن تملأ الأرض ظلماً وجوراً قبل ظهوره.

الثاني: تكريس اليأس عن جدوى أيّ عمل إيجابي بعد ظهوره مادام الله عزَّوجل قدّر أن يملأ الأرض ـ به ـ عدلاً وقسطاً، بغض النظر عن قلة أنصاره وكثرة أعدائه.

وهذان القدران يُعلنان تعطيل أدوار الآخرين، وبالتالي يوحيان بتجميد كل الطاقات المؤمنة به، لأن أي عمل إيجابي لايعني غير تحدي القدر الذي يضحك من كل المتحدين، أو مجاراة القدر الذي لاتنشطه المجاراة.

السادسة: ظاهرة التساؤل عن موعد ظهوره، وهل يظهر في وقت قريب؟

أو أنه لايظهر إلا بعد فترة طويلة من الآن؟ ثم ماهي علائم ظهوره؟

وهل العلائم الواردة في الأحاديث المبشرة به صحيحة أم لا؟ وإذا كانت صحيحة فلماذا لم يظهر مع أن تلك العلائم قد ظهرت ـ حسب رأي العلامة المجلسي رحمه الله ـ قبل ثلاثمائة عام؟...

السابعة: ظاهرة التساؤل عن الأدلة التي تثبت أصل فكرة الإمام المهدي المنتظر من الكتاب والسنة؟..

الثامنة: ظاهرة التساؤل عن أن فكرة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام هل هي من عناصر الفكر الشيعي فقط؟ أو أن المسلمين ـ جميعاً ـ يعترفون بها؟...

التاسعة: ظاهرة تسائل تقول: حتى لو ثبتت فكرة الإمام المنتظر شيعياً أو عند كل طوائف المسلمين، فهل يسوقنا التمرد عليها أو إهمالها، إلى منعطفات دينية أو إجتماعية أو فردية؟..

ملاحظة ومناقشة الظواهر:

بخصوص هذه الظواهر نقدم ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: نعترف بأن هذه الظواهر موجودة ولكن وجود هذه الظواهر لايغيّر شيئاً من واقع الإمام المنتظر، فاليأس والتشكيكات والتساؤلات المتنوعة تلف كثيراً من الأمور حتى تحجب الرؤية وتُربِك المفكرين، وخاصة في المجالات السياسية والقيادية التي تُمسك بمصير الناس ومقدراتهم، فتكون مناخاً ملائماً للأوهام والتخيلات، وحلبة واسعة

ترحب بصراعات الآراء والمصالح، ولكنها لاتغيّر شيئاً من وقائع الأمور، ومتى كانت التشكيكات والتساؤلات تزحزح شيئاً عن واقعه؟

الملاحظة الثانية: نحاول أن نناقش هذه الظواهر على أساس سؤال يقول: هل هذه الظواهر صحّية أو غير صحّية، فالظواهر إذا كانت صحية تعبِّر عن شئ، وإذا كانت غير صحية تعكس أمراض مجتمعها فلا تعبر عن شئ.

الأقسام الأربعة لظاهرة اليأس:

الظاهرة الأولى: وهي ظاهرة اليأس من وجود الإمام المنتظر، أو من ظهوره مطلقاً، أو من ظهوره في وقت قريب، ولتحقيق مدى صحية هذا اليأس نقسم اليأس إلى أربعة أقسام:

١ ـ اليأس من المستحيل، كاليأس من أن يصير ٢ + ٢ = ٣، أو = ٥، ومثل اليأس من إجتماع الضدين والنقيضين ـ بحدودهما المذكورة في علم المنطق ـ وهذا اليأس معقول.

٢ ـ اليأس من الذات، مثل يأس الفرد من أن يحمل جبلاً على ذراعيه، أو من أن يطير في الهواء بلا وسائل، وهذا اليأس مقبول.

٣ ـ اليأس من الغير، مثل يأس فلاح من أن يزوره الملك في كوخه، وهذا اليأس منطقي في كثير من الحالات، وليس صحيحاً على العموم، فكم من المفاجآت تخترق جدران اليأس؟ وكم بزغت الآمال من ظلام يأس مطبق؟..

ولعل إتخاذ الموقف أمام هذا القسم من اليأس ـ الذي يمكن أن نسميه بـ(اليأس العادي) ـ من المنعطفات الخطيرة التي تفرز العظماء عن التافهين، فالتافهون عندما يصطدمون بهذا القسم من اليأس يتراجعون، أو ينهزمون إلى الأبد فينتحرون، بينما العظماء يصمدون، أو يواصلون الكفاح، وكثيراً ماينقشع ضباب اليأس عن عيونهم، وتتضح أمامهم سبل الإنتصار.

وهذا القسم من اليأس يعتري كل فرد من البشر مرات عديدة في عمره، ثم ينكشف عنه، كما تنكشف سحب الربيع عن الأفق الحالم.

وهذا لايعني: أن اليأس غير صحيح على الإطلاق، فلربما تتضافر المعاكسات بشكل كثيف، يتراءى كأنه جدار لايمكن، فييأس حتى العظماء، وقد يكفهر الجو فييأس حتى رسل الله المتصلون بالسماء، ويستبد بهم اليأس، ولكن الله الذي جعل لكل شئ دورة في الحياة الدنيا يعلم أن ذروة كل شئ منتهاه، وأن قمّة اليأس هي مبدأ الفرج، فيقول: ﴿**حتى إذا استيأس الرُّسل وظَنُّوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنُجِّي من نشاء ولايُرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾ (١).

وإنما يعني هذا الكلام، أن اليأس من الغير أكثره كاذب، وأقله طبيعي، ولكن يمكن نسفه بالمحاولة، على أن تكون المحاولة في حجم المعوقات.

٤ ـ اليأس من الله، وهو أن يعتقد فرد بأن الله قد أغلق أبوابه، أو أنه لايجد

---

(١) يوسف: ١١٠.

لأمره مخرجاً، أو لعقدته حلاً، وذلك أن الإنسان ـ عادة ـ يملك إنطباعات معينة عن الأشياء المتعايشة معه، وعلى ضوء هذه الإنطباعات يرتب لكل شئ ـ في تصوره ـ أسباباً ونتائج، فإذا جرب كل الأسباب الواردة في تصوره، ولم تسفر عن النتيجة المتوخاة، ظن أن لاسبب يؤدي إليها على الإطلاق، وامام هذا الظن يلجأ المؤمن إلى الله، ويحدّث نفسه بأنني جرَّبت كل الأسباب التي كنت أعرفها، ولم يؤد شئ منها إلى النتيجة التي كنت أحاولها، ولكنني كفرد من البشر يكون عملي محدوداً، فلعل هنالك سبباً أو أسباباً يؤدي كل واحد منها إلى تلك النتيجة، وأن الله المحيط بكل شئ يعرفها جيداً، فالأفضل أن أترك الأمر لله يصرفه كما يشاء، ونتيجة لهذا الإيمان لايدب إليه اليأس، وإنما يحافظ على الأمل في مشاعره، ولايتراءى له بصيص من النور إلا ويبدأ التجربة وبما أن تطورات الحياة كثيرة، ربما تترتب الأمور بشكل تقدم إليه تلك النتيجة بلا محاولة، أما غير المؤمن فإذا جرَّب الأسباب التي يعرفها، ولم تنته إلى النتيجة التي يريدها انكفأ على نفسه في ظلام من اليأس ثقيل، وهذا اليأس لايعني الجهل بالله وقدرته غير المتناهية فقط، وإنما يعني الجهل بالحياة وأبعادها البعيدة، وهو الضلال في منطق القرآن: **﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون؟﴾** [1]، **﴿...ولاتيأسوا من روح الله**

---

(١) الحجر: ٥٦.

إنَّه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [1].

هذا فيما لم يسبق إليه وعد من الله، أما إذا وعدنا الله بشيء، ولم نجد في أفقنا القريب المحدود إشارات تمتد إليه، فيأسنا منه لمجرد ذلك يدل على أن مدانا أضيق من حبل المشنقة.

أوليس العلم المادي المحدود يقدم إلى البشر كل يوم أشياء لو حدّثت بها كتب السماء لم يصدقها، لكن البشر يضطر إلى الإعتراف بها حينما يراها بالعين المجرَّدة، أو على الشاشة الصغيرة، فكيف بالله العظيم، الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديراً؟..

وبالنسبة إلى الإمام المهدي المنتظر، وعد الله بإظهاره وتمكينه في الأرض، ولن يمنعه من تنفيذ وعده مانع في الأرض، ولا في السماء، وقد قرر منذ الأزل توقيت غيابه وظهوره ـ وفق حكمته البالغة ـ ورتب لغيابه وظهوره وتمكينه أسباباً كافية، كما قرر حركة النجوم، وتوقيت غيابها وظهورها ـ بالنسبة إلى إنسان الإنسان، ورتب لتفاعلاتها أسباباً كافية.

أما كون توقعاتنا تستعجل ظهوره، وكون تصوراتنا تستبطئ فترة غيابه عليه السلام، فهذه أمور ناتجة من الجهل بالحكمة العليا، ولاتأثير لها على حركته مطلقاً، كما أن توقعاتنا وتصوراتنا ـ مهما كانت ـ لاتؤثر على حركة النجوم أبداً.

---

(١) يوسف: ٨٧.

وإذا كانت توقعاتك وتصوراتك لاتغير حركة قلبك ومعدتك، ولا تقدم ولاتؤخر ميلاد إبنك ووفات زوجتك، فهل تريد لهذه التوقعات والتصورات، أن تستطيل حتى تغيّر إرادة الله في إدارة كونه، وتبدل حكمة الله في نشاط أوليائه؟..

إن علينا ـ في مثل هذه الأمور ـ أن نعلم: أن الله إذا وعد شيئاً نفذه في الوقت الذي يشاء، وبالأسلوب الذي يشاء، ولاتعاكسه الظروف والأحوال لأنه هو الذي يخلق الظروف والأحوال ويصرفها كما يشاء.

وإذا علمنا ذلك لايمتلكنا اليأس من ظهور الإمام المهدي المنتظر، ولانرى أنه تأخر أكثر مما ينبغي، بل نعرف أنّه سيظهر في الوقت المحدد لظهوره، ونتوقع أن يصادف ظهوره أي يوم من أيامنا، وأيَّة ساعة من ساعاتنا.

مناقشة التشكيك:

الظاهرة الثانية: وهي ظاهرة التشكيك في مقدرة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام على السيطرة العالمية بعد ظهور الأسلحة الحديثة، ويمكن مناقشة هذا التشكيك بما يلي:

١ ـ إن الله وعد بنصرة الإمام المنتظر عليه السلام وتمكينه في الأرض، حسب تأويل قوله تعالى: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم**

أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض﴾ [1]، وحسب تصريح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يظهر رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً)، ووعد الله، والله لايخلف الميعاد، ووعد الله أقوى الضمانات لنجاح الإمام المنتظر في رسالته العالمية، لا بالنسبة إلينا نحن الذين نحاول أن نعرف شيئاً من ذلك التحول الكبير فقط، وإنَّما حتى بالنسبة إلى الإمام المنتظر نفسه، المكلف بنقل العالم كله من مرحلة الفوضى والمناقضات إلى مرحلة الإستقرار والإنسجام.

٢ ـ يكفي ـ في هذا المجال ـ أن نعلم أن الله ينصر أوليائه الكبار، بالمفاجآت الكبيرة التي ترتبك لها قادة الرأي في العالم، بحيث لايطيقون التفكير وإذا فكروا لايستطيعون التدبير، لأن المفاجآت تأتي ساحقة شاملة، لو تكتل العالم كله في الصف الآخر، لما استطاع المقاومة ولا الصمود.

وتاريخ الأنبياء كلهم أفضل شاهد حيّ، على أنهم ماكانوا يواجهون التحديات التقليدية التي يستطيعها البشر، لتحديات تقليدية مثلها، حتى يتم التوازن، فترجح الكفة مرة لصالح الأنبياء، وترجح مرة اخرى لصالح أعدائهم.

● فكما أن نوح عليه السلام فاجأ العالم كله بطوفان اجتاح المعمورة كلها، ولفَّ

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

البشرية والحيوانية والنباتية الفاسدة جمعاء، حتى يسمح بالسلالات المفضلة أن تؤسس الحياة البشرية والحيوانية والنباتية من جديد، حتى صاح بأعلى أصواته: ﴿...لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ (١).

● وكما أن إبراهيم الخليل عليه السلام فاجأ الرأي العام بجعل النار برداً وسلاماً في العراق، وانتصاره العسكري الساحق في الشام، وبناء الكعبة في الحجاز.

● وكما أن داود فاجأ الدنيا عندما قرض دولة الظلم، وقتل رأسها وقادتها، جالوت وأعوانه، بأحجاره التي سددها الله فلم تخطئ واحدة منها، واعلن العدالة الواقعية التي لاتعتمد على الشهود والبينات.

● وكما أن سليمان بن داود عليه السلام فاجأ البشرية كلها، عندما بسط سلطانه على كل الكائنات، فسخر الجن والإنس، وجعل جيشاً من الوحوش، ومظلة من أجنحة الطيور المحلقة، ووضع عرشه على الريح، حتى لم يعد على الأرض إنسان يفكر إلا في تنفيذ أوامره.

● وكما أن يوسف عليه السلام قفز قفزته الرائعة من البئر والسجن والعبودية إلى العرش، حتى قال له اخوته الذين أرادوا به كل سوء: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنَّا لخاطئين﴾ (٢)، وحتى قالت زليخا التي اتهمته وزجّت به في السجن: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم

---

(١) هود: ٤٣.

(٢) يوسف: ٩١.

أخنه بالغيب﴾ [1].

● وكما أن موسى بن عمران عليه السلام طوى تاريخ الفراعنة وجيوشهم في البحر، وأربك العالم الذي استحوذ عليه السحر بتسع آيات بيّنات، وبعصاه التي تلقف ما يأفكون.

● وكما أن عيسى بن مريم عليه السلام فاجأ الأطباء الأفذاذ ومن ورائهم العقل البشري حتى البوم، بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الرميم...

● وكما أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فاجأ المنكرين جميعاً بالقرآن، وفاجأ الجزيرة العربية بقيادته العسكرية التي صاح بها العباس أمام أبي سفيان ـ في فتح مكة ـ ويلكم لقد جاءكم بما لاقبل لكم به.

هكذا الإمام المهدي المنتظر عليه السلام يفاجئ بما لاقبل للعالم به، أما تفصيل تلك المفاجئة، فتهمه أكثر مما تهمّنا، والذي كلفه بتلك المهمة العالمية الضخمة، وفَّر له الوسائل المناسبة لأدائها، كما وفَّر لمن سبقه من أوليائه العظام، الوسائل المناسبة، لأداء مهماتهم.

سلاح الإمام المهدي عليه السلام:

٣ ـ يبدو من مواصفاته المنقولة إلينا، أنه يأتي بنوع جديد من السلاح، تكون لديه الأسلحة المتقدمة رمزية لاجدوى منها، وأنه يأتي بنوع جديد من التكتيك تصبح التكتيكات الحديثة أمامه تقليدية لافحوى لها.

---

(١) يوسف: ٥١ ـ ٥٢.

ففي الأحاديث المبشرة به إشارات إلى ذلك، بمقدار ما كانت الكلمات القديمة والعقول القديمة تتحمل المضامين غير المعروفة، التي لا تتحملها الكلمات والعقول المتطورة اليوم، وتبدو الإشارات واضحة رغم رمزية التعابير، إذا تأملنا النصوص التالية:

● ورد في وصف سيفه: (أنه يعرف أعداء الله فيقتلهم، ويعرف أنصار الله فيدعهم) ولعل السلاح الذي يميز بين الأفراد، فيقضي على غير المؤمن، ويترك المؤمن، ليس سيفاً، وإنما هو نوع آخر من السلاح غير الموجود حتى اليوم، ولكن ورد التعبير بالسيف، لأنه كان أبرز سلاح يقاتل به في فترة صدور الأحاديث، ولو كان المعصومون عليهم السلام يستخدمون غير الأسماء المعروفة، لكان الرواة يمتنعون من نقلها خشية أن تقابل بالسخرية والإستخفاف.

● وورد في وصف سيوف أنصاره: (ولهم سيوف من حديد، لا كسيوفكم، إذا ضرب به أحدهم جبلاً قطه) وظاهر أن السلاح الذي إذا ضرب به أحدهم جبلاً قطه ليس سيفاً، وإنما سلاح آخر.

● وورد في كيفية إنتصاره: (أنه إذا ظهر توقفت الأسلحة، فلم تتحرك في وجهه) ولعله إشارة إلى أنه يظهر بسلاح تكون الأسلحة الموجودة في ذلك الوقت رمزية أمامه، ولعله إشارة إلى أنه يستخدم نوعاً من السلاح يعطل كل الأسلحة الموجودة، أو يجمد كل الآليات المتحركة.

● وورد في وسائل انتصاره: (يسير أمامه الرعب مسيرة شهر) وفي نص

آخر (أنه يحكم بالرعب) و (يُنصر بالرعب) وهذا النوع من التعبير يشير إلى أن سلاحه أو تكتيكه شئ جديد مخيف ينهار أمامه القادة، فلا يحسنون غير الإستسلام.

● وورد في وسائل الإعلام التي تعلن عن ظهوره: أنه في الليلة التي يظهر في صبيحتها: (يجعل النور عموداً بين الأرض والسماء، فتشرق الأرض بنور ربها كالنهار) ويعلم جميع الناس أن الكون يتمخض عن ظاهرة كبرى...وفي صبيحة تلك الليلة يهتف جبرئيل في الهواء: (ألا قد ظهر المهدي بمكة، فاتبعوه) فيسمع صوته جميع البشر، ويعلمون أن تلك الظاهرة انطلقت وستأخذ طريقها إلى الإنتشار.

أما النصوص التي تقول بأنه يظهر بالسيف فقد يمكن تفسيرها بما يلي:

▣ ان السيف رمز السلاح، أو رمز القوة، فيكون معنى هذه الأحاديث: أنه يظهر بالسلاح، أو أنه يظهر بالقوة.

▣ ورد في بعض هذه الأحاديث انه يحمل السيف، ومعنى حمله السيف أنه يختاره شعاراً، واختيار السيف شعاراً يختلف عن إستخدام السيف سلاحاً وحيداً في معاركه، فاختيار النسر شعاراً لدولة، أو إختيار المنجل والمطرقة شعاراً لدولة، أو إختيار النخلة أو سنبلة القمح، لايعني أنها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة وإنما ترمز إلى بعض المنطلقات الفكرية أو الحيوية للدولة.

▣ لعل المقصود من ظهوره بالسيف، أنه إذا أراد إعدام شخص أمر بضرب

عنقه، إنطلاقاً من التعاليم الإسلامية، التي تأمر بإراحة الضحية وعدم تعذيبه بالوسائل المختلفة للإعدام، فيكون السيف، السلاح الذي يخيف المجرمين داخل دولته، لا أنه سلاحه في معاركه وفتوحاته.

▣ في بعض تلك الأحاديث تصريح بأن السيف الذي يحمله، هو سيف ذو الفقار، وهو السيف الذي استخدمه جدَّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معارك الإسلام الحاسمة، وورد أنه نزل من السماء، وأصبح فيما بعد من جملة التراث المقدس الذي توارثه الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فربما يحمله الإمام، ليرمز إلى أنه أتى لتجديد الإسلام، ولم يأت بدين جديد كما يحلو للبعض أن يتهمه بذلك على أثر شجبه كل الإجتهادات الباطلة.

وربما يحمله ليؤكد انتسابه إلى رسول الله، دحضاً للتهم التي تطاله في نسبه نظراً لقدم عهد أبيه وظهوره في مظهر رجل بسنّ الأربعين، ورداً للتهم التي تقول: بأنه ليس من ذرية رسول الله، نظراً لقتله أعداداً كبيرة من المجرمين زعماً منهم أن ذرية رسول الله يحاولون الإبتعاد عن الخوض في الدماء حتى دماء المجرمين.

وربما يحمله تبركاً به، بإعتباره السيف الذي فتح الطريق أمام الإسلام.

وربما يحمله كذكرى جده أمير المؤمنين عليه السلام الذي كانت حياته كلها تضحيات مُرَّة في سبيل الحق.

ورُبَّما يحمله في جملة مايحمله من مواريث الأنبياء، ومنها خاتم

سليمان، وعصا موسى بن عمران، وتابوت بني اسرائيل، وأشياء أخرى، وذو الفقار أبرز تلك الأشياء، فيشتهر بأنه ظهر بالسيف.

فرفعه السيف شعاراً، أو حمله رمزاً، لايعني إستخدامه سلاحاً وحيداً في معاركه، وإنما تشير جملة من الدلائل والقرائن على أنه يستخدم أسلحة أخرى، شديدة الفتك والتدمير، إلى درجة رهيبة، تخلع قلوب القادة العسكريين، فيستسلمون لتجاربها الأولية، ويستقبلونها بالرايات البيض.

والأسلحة المتطورة:

٤ ـ وربما يستخدم الأسلحة المتطورة الموجودة في حين ظهوره، ويحرك الجيوش المتثائبة في المعسكرات، ويكون تكتيكه سلاحه الفعَّال، الذي يستولي به على القواعد العسكرية، ويعتمد في تكتيكه على عنصرين المفاجئة والسرعة ـ كما يظهر من بعض الأحاديث ـ.

فلا يشترط في الثائر الذي يخترق المغيب إلى كبد السماء، أن يكون قد حشد في مغيبه قوىً أكثر من القوى المتصارعة على الأرض، وإنما يشترط أن يملك الخطة التي بها يسيطر على قوة ضارية من تلك القوى، وكل الثائرين الذين قفزوا من تحت الأرض إلى دفة الحكم لم تكن وسيلتهم سوى خطة ناجحة.

فإذا ظهر الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وتوافد إليه حواريُّوه الثلاثمائة والثلاثة عشر، والتف حوله من أنصاره الأشداء حتى زادوا على ألف رجل انطلق من مكة يبسط سلطانه على الحجاز، فأيَّدته المعسكرات، وسار بها

إلى الشام يجتاح سوريا ولبنان وأردن وفلسطين، ثم انعطف نحو العراق فانفتح له، تتجمع لديه قوة عسكرية ضخمة، يستطيع أن يوجه فصائلها نحو الخليج وإيران والهند وأفغانستان شرقاً، وأن يوجه ماتبقى منها إلى أفريقيا غرباً، واستيلائه السريع على الحجاز وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق خلال أيام وبدون مقاومة تذكر من جهة، وخططه الجديدة المنتصرة من جهة أخرى، ومفاجآته الخاطفة من جهة ثالثة، وانتصاراته المتتابعة التي لاتتعثر بهزيمة من جهة رابعة، ترفع أنصاره فوق السحاب معنوياً ومادياً وتخفض بأعدائه تحت الصفر معنوياً ومادياً وتجعل منه قائداً مظفراً رهيباً تنخلع لإسمه قلوب وتطمئن إليه قلوب.

وطاقاته الروحية:

هذا إذا اكتفى بإستخدام طاقاته المادية كقائد، أما إذا ضم إليها طاقاته الروحية كإمام، ووجد الناس ـ بالفعل ـ عناصر السماء وراءَهُ، فرأوا الملائكة يقاتلون بين يديه ووجدوا الأموات قد نشروا من قبورهم يحملون أسلحتهم إلى شتى الجبهات للدفاع عنه، ووجدوا الإمام يأمر الصحراء أن تنخسف بأعدائه، فتبتلع الصحراء جيشاً كاملاً بِرُمَّته، ويأمر السحاب أن يدمدم على قوم فيمطرهم بالصواعق حتى لاينجو منهم أحد، ويأمر أسلحة أعدائه أن تكر عليهم فتعود إليهم الأسلحة التي في أيديهم حتى تبيدهم عن بكرة أبيهم.

فإذا استخدم الإمام كل صلاحياته المادية والروحية، فهل يجرأ ملك أو رئيس أن يشهر نفسه ـ مهما بلغت قواته ـ لمقارعة قوى الأرض والسماء

مُتكرِّسة في شخص؟

وهل يوجد شعب يسمح لرئيسه أن يعرّضه لبطشة ماحقة تدعه بدءاً.

والطاقات البنّاءة:

هذا إذا اكتفى باستخدام صلاحياته الكفاحية فقط، وأما إذا ضم إليها طاقاته البنّاءَة، ففجَّر خيرات البر والبحر، واستمطر خيرات الجو، وجاء بالعلوم الكثيرة التي سيّرها الأنبياء على البشرية المنحرفة، فرفع مستوى العقول، وزكّى المواهب ونوَّر الأفكار، وفك عُقد الحياة، فمكَّن الحضارة السعيدة التي لاتكدرها المشاكل، وأعلن العدالة الشاملة التي لاتُلوِّثها الجرائم، فمسح المتاعب عن الجباه، وكشف القلق والحيرة عن العيون، فإن شعوب العالم تتهافت عليه لتقديم ولائها إليه، وللإنضمام إلى كنفه الوادع السعيد.

توقيت الظهور:

٥ ـ إن توقيت ظهوره توقيت أكثر من دقيق وأكثر من حكيم، ومن نوع ربما لم يتفق في عمر البشرية كلها بهذا الشكل الحاسم، ولهذا يكون توقيت ظهوره وحده نصف خطته، ولهذا التوقيت أهمية فرضت انتظارها مئات السنين.

ذلك أن الناس في تأرجحهم بين الأديان والمذاهب بحثاً عن الأفضل لايعتمدون على الآخرين بمقدار مايعتمدون على أنفسهم، ولايعتمدون

حتى على الغيب بمقدار مايعتمدون على أنفسهم ـ وخاصة من أقنعتهم الديالكتيك بسقوط كل المعادلات، وأوصلتهم القيادات المصلحية والإنتهازية إلى حافة اليأس من إخلاص الغير، وإلى التشكيك حتى في الشعارات المخلصة ـ فإذا قيل لأي فرد: إن الإسلام هو المسلك الوحيد إلى السعادة الفاضلة في الدُّنيا والآخرة، قد يعترف به لياقة للمجتمع الذي يتظاهر مثله بالإسلام، أو مجاملة للقائل: أو تقليداً ورثه مع ماورثه من آبائه من التقاليد وبنى عليها تشريفاته الإجتماعية، ولكنه لايؤمن به، إيمانه بالضوء الأحمر الذي يوقف سيارته على مفترق الطريق، أو إيمانه بختم موظف الجمرك الذي يسمح له بتجاوز الحدود، أو إيمانه بالأوراق النقدية التي يتعامل بها على مايختار من بضائع وخدمات، فهو يؤمن بالإسلام بمقدار مادخل في القانون والسياسة والإجتماعيات والكماليات، ولايؤمن به كقانون يفرض نفسه بقوة البوليس، ولايؤمن به كسياسة تضمن له مستقبلاً لامعاً.

كنتيجة طبيعية لهذه الإزدواجية الناتجة من الإسترخاء الإيماني، تزعجه الحدود الإسلامية التي تمنعه من الإقتحام في بعض المغريات، ولايجد إيجابيات الإسلام، فلايشعر بالطمأنينة التي تركِّز نزواته وهواجسه على مطامح مشروعة، ولايلمس السعادة التي يشيعها الإيمان حول المؤمن، ولايتضح أمامه الخط الأفضل الذي يهدي إليه الإسلام، لأن البناء الناقص

أطلال ومواد تثقل ولا تنتج.

ولهذا فالمسلم الناقص الإسلام ـ وأكثر المسلمين اليوم ناقصو الإسلام ـ يقبل الإسلام على تذمر، وهذا التذمر يأخذ أبعاده من خلال تساؤلات مصدرها معاناة، ومن خلال شبهات قواعدها محاولات للبحث عن أعذار تصونه عن لوم المجتمع إذا تحلل من مظهر الإسلام، ومن خلال إنتقادات يوجهها إلى أبيه وأمه وسائر المؤمنين الملتزمين الذين يصمهم بالقشريين والمتزمتين والمتطرفين، وقد يعلن هذا التذمر، إذا التقفته كتلة تشجعه أو بديل يعتمد عليه.

ولكنه على العموم، يجب أن يحافظ على الإسلام، كمظهر من المظاهر الإجتماعية، طالما لا يكلفه عناءً، فإذا اصطدم بشيء من مصالحه، أو رفع إلى أزمة عاصفة، بادر إلى التحلل منه بلا تردد، وكأنه لا عهد له به.

ويبدو أن هذه الظاهرة كانت تمسح المجتمع في عهد الحسين عليه السلام حين وصفه بقوله: (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه مادرَّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء، قلَّ الدَّيانون).

وبما أن البدائل التي طرحت مقابل الإسلام كثيرة من داخل الأمة الإسلامية وخارجها، ابتداءاً من عهد الفتوحات الإسلامية التي اعتمدت السيف ـ لا الإيمان ـ مدخلاً إلى الإسلام، حيث تقمَّصت الفلسفة اليونانية أزياءها المناسبة للتغلغل والدس في الأمة، ومروراً بعهودنا التي تسترت فيها

الديالكتيك ببراقعها المتنوعة لأداء ذات الدور، وانتهاءاً بعهد ـ ماقبل الظهور ـ الذي تأخذ فيه الفلسفات البشرية أقنعتها وواجهاتها المشكلة للقيام بمهمة تمزيق الأمة من داخلها، وبالفعل أدت إلى إنشقاق الأمة طوائف وفرقاً تنبأ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأمهاتها يوم قال: (...وستفترق أمتي بعدي ثلاثاً وسبعين فرقة...) وأما البدائل التي من خارج الأمة في صيغ أديان وفلسفات سابقاً، وفي صيغ أحزاب ومبادئ حالياً، فإحصائها يحتاج إلى قاموس يسع مجلدات.

البشر في كل الإتجاهات:

● وبما أن البشر يعتمد على تجربته الشخصية أكثر مما يعتمد على تجربة غيره، وحتى أكثر مما يعتمد على الغيب ـ إذا كان مؤمناً به ـ.

● وبما أن لكل جديد وهجاً يغري، وكيل الوعود جزافاً سهل، والغريق يبحث عن أي يد تُمد إليه.

● وبما أن البشر ـ لازال ـ يعتقد بأنه قادر على إستيعاب الحياة، وعلى وضع أفضل الخطط التي تسعده عبر الحياة وتستنفد أهدافه فيها، وعلى قيادة نفسه بنفسه في معزل عن السماء.

بذلك كله، اندفع في كل اتجاه من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، يلبي كل نداء، ويتحرك مع أية ريح كما أتقن وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(...وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لايلجئون إلى ركن

وثيق، ولا يستضيئون بنور العلم...) فكانت حصيلته تناقضات عشوائية، الناجح فيها هو الأقوى في النطاح، والفاشل فيها من له أدنى تروٍّ وأناة، وضياع في خطوط متحركة ودوامات تدوخ وتبتلع، وتضحيات هائلة في الأرواح والأعصاب والأفكار، يتبعها تخلف وقنوط.

وهذه الرحلة: رحلة التجربة التي بدأتها الأمة ـ بعد فترة وجيزة من تكوّنها ـ عبر الأديان والفلسفات والأحزاب والمبادئ، بحثاً عن الأفضل، بعد إنحرافها عن دينها الحق، على أثر عوامل كثيرة أهمها:

▣ إتجاهها إلى قيادة مفروضة عليها، ومحسوبة عليها، وإضطهادها قادتها السماويين.

▣ وعدم إستيعابها دينها الحق، نتيجة لإنجراف عديد من الرواة والمحدثين الذين إئتمنوا على سنة رسول الله ﷺ في تيار تلك القيادة المفروضة المحسوبة على الأمة.

على أثر ذلك أصيبت الأمة، وأصيبت البشرية، أصيبت الأمة بإصابتين:

▣ أصيبت الأمة في ذاتها كخير أمة أخرجت للناس، يفترض فيها أن تكون أكثر الأمم مناعة وسعادة، فكانت أكثر الأمم تمزّقاً وشقاءً، كما تنبأ الرسول الأكرم ﷺ حين قال: (...تتداعى عليكم الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها...) (...تأتيكم الفتن كقطع الليل المظلم...تدع الحليم حيران...) (...قالوا: أو عن قلة فينا يارسول الله؟ قال: كلا، ولكن غثاء كغثاء السيل).

▣ وأصيبت الأمة في مركزها، كأمة مرشحة لقيادة البشرية جمعاء، فلم تكن أمة قائدة لبقية الأمم، ولم تكن أمة قائدة لأمة أخرى تقودها إلى الخير أو إلى مايمكن أن يسمى خيراً، وإنما كبقرة حلوب تحلب ولا تسمن، أو كما في بعض الحديث: (...غرضاً يرمى...).

وأصيبت البشرية بإصابة واحدة:

أصيبت البشرية في قيادتها الروحية، فخسرت القيادة التي تبشرها بحضارة الروح، وتضمنها إلى حضارة المادة، وتوجد في ظل تفاعل هاتين الحضارتين مجتمعاً انسانياً غنياً بمعطيات تلبي كل نداءات الإنسان، وتدفع عجلة التطور إلى الأمام بمحركين، فبقيت البشرية ـ بما فيها الأمة الإسلامية ـ تعاني صراعاً داخلياً حاداً بين العقل والضمير الأخلاقي من جهة، وبين الغرائز من جهة، والعقل معصوم لايتلوَّث بالشذوذ، فهو رسول من رسولَي الله إلى الإنسان كما في الحديث: (إن لله على الناس حجتين: رسول باطن هو العقل، وعقل ظاهر هو الرسول)، والضمير الأخلاقي حرّ شجاع لايصمت ولايتلعثم، فهو محكمة الله في داخل الإنسان، المعبّر عنه في منطق القرآن **﴿بالنفس اللَّوامة﴾** [1]، **﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾** [2].

---

(١) القيامة: ٢.

(٢) القيامة: ١٤ ـ ١٥.

إلا أن العقل والضمير لايكفيان لقيادة الإنسان.

فالعقل، وإن كان قوي الحجة، واضح الصوت، إلا أنه يشبه رجل الدين الحصيف الجليل، الذي يعترف به الجميع، ولاينفذون كلمته، لأنه غير مسلح بالإرهاب والإغراء.

والضمير الأخلاقي، وإن كانت محكمته مستمرة طول العمر، وصوته جهوري يعكر سعادة من يخالفه نهاراً ويؤرقه ليلاً، إلا أنها تشبه المحاكم العائلية، التي تصدر أحكاماً خلقية للتنبيه، أو تصدر أحكاماً قضائية مع وقف التنفيذ، والإنسان لايخضع إلا للقوَّة المنفِّذة.

بينما الغرائز تشبه عصابة مغامرة من الشباب الأقوياء، التي لاتتورع عن شئ في سبيل مآربها، فيجتاح منطق العقل والضمير الأخلاقي، بغرورها العنيف، وربما تسخر العقل من أجل التخطيط لمآربها بالعنف، كما قد تسخر العصابات الشريرة، الخبرات الخيِّرة لجرائمها تحت التهديد بالقوة.

إذن فالعقل والضمير الأخلاقي لايكفيان لتوجيه الإنسان وقيادة غرائزه، ولذلك كان العقل والضمير الأخلاقي يستغيثان السماء دائماً، لإمدادهما بالرسل.

الإنسان في التجارب المرّة:

والإنسان طالما آمن بنفسه في ظل فكرة الديموقراطية التي تجعل الشعب صنماً يعبد من دون الله، وطالما اقتنع بأنه يستطيع قيادة نفسه بدون مدد من

السماء، وطالما بدأ رحلته التجريبية عبر الأديان والمذاهب والمبادئ والأحزاب وسائر ماقد يطرحه الفكر البشري للتجربة، وطالما استغنى بالقيادات البشرية التي يختارها بخبراته، عن القيادات الإنسانية التي تختارها السماء، فعليه أن يكمل الرحلة حتى نهاية المطاف، وأن يجرب كل ماينتجه الفكر البشري من طرائق ومناهج، وأن يختبر كل أنواع القيادات الفردية والجماعية، وأن يمتحن قدراته من خلال آلاف التجارب والإختبارات التي يمارسها على مختلف الشعوب في شتى جنبات الأرض، حتى إذا فشلت تجاربه كافة، وأفلست قياداته جمعاء، فوجد المجاعات تكتسح الجماعات كما تكتسح رياح الخريف أوراق الشجر، ورأى دواليب الدم والمجازر البشرية تزلزل الأرض من تحت أقدامه، وقرأ البؤس والشقاء والكآبة في كل الوجوه...عند ذلك يبلغ به اليأس من نفسه مبلغ القنوط، يكفر بكل شئ اسمه فكرة ومبدأ...ويلعن كل شئ اسمه قيادة وقائد...ويحارب كل مايعبّر عن تأليه الشعب وعصمته...فتنهار الأنظمة والحكومات، وتتخلى الأجهزة الرسمية والهيئات الدولية، وتتفكك الجيوش والتكتلات فيتسابق الأقوياء لنهب الضعفاء ويستأسد الضعفاء للدفاع عن أنفسهم وصيانة حقوقهم.

فيلجأ كل إلى سلاحه، ولايطمئن أحد إلى كفاحه، فتعم الفوضى مسلحة بالعلم والآلة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، فتعود البشرية كلها

أيد ترفع إلى السماء، وتنقلب الأنفاس دعوات تتسابق إلى الله، وتغدو النظرات توقعات ترقب الأفق البعيد، بإنتظار تفجير المعجزة، وإظهار المصلح الموعود، فحينئذ يظهر الإمام المنتظر، ليجد الناس يرددون كلمته قبل أن يقولها هو، ويقضون على من يريدون مقاومته قبل أن يقضي عليهم هو، فيمشي على الحرير بلا عثرات.

الإعتراف بالعجز:

٦ ـ إن العقل إذا فقد المدد الخارجي، واستفردته الغرائز، يعجز عن مقاومتها، فلايستطيع الهيمنة على الفرد، وإذا عجز عن بناء شخصية الفرد، لايستطيع تكوين جبهة تهيء المناخ المناسب لمن يريد الإنضمام إليها، مقابل جبهة الغرائز التي تهيء المناخ المناسب لمن يريد الإنضمام إليها.

ومهمة الأنبياء ـ في مجال المجتمع ـ تتلخص في إمداد العقل، لتكوين جبهة تهيِّء المناخ المناسب لمن يريد الإنضمام إليها، حتى يجد كل فرد نفسه أمام طريقين، ومردداً بين خيارين كما يقول القرآن الكريم: ﴿**وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة**﴾ [1]، وأما أولئك الذين وهبهم الله عقولاً وإرادات جبَّارة، يستطيعون بها أن يمارسوا الإيمان عقيدة وحياةً في المناخ المضاد، فهم ليسوا من مصاف البشر العادي، وإنما هم من مصاف الأنبياء، واعتبرهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إخوانه في الحديث المعروف الذي قال فيه: (آه، شوقاً إلى

---

(١) البلد: ١١.

اخواني...).

فإذا لم يستقبل العقل مدد السماء، وفقد سلطانه لتقنين الغرائز، فإنها ستتمرد عليه تدريجاً، وتستخدمه لأغراضها، والعقل لايكف عن إطلاق نداءاته، فإنه يستخدم رغم نداءاته وضد أهدافه. فالمجرمون المحترفون ـ جميعاً ـ يستخدمون عقولهم في التخطيط لجرائمهم ـ وسواء أسميناه عقلاً أو نكراء، فالنتيجة واحدة.

وإذا تنكرت الغرائز للعقل، فإنها تسعى لتقنينه، وتأخذ في النمو بشكل تصاعدي حتى تغطي ظاهرة الحياة الفردية والإجتماعية ـ كأي نبات تحرر من ضوابطه، وكأي حيوان فقد ضوابطه، وكأي فرد من البشر استطاع التمرد على ضوابطه ـ.

وعندئذ، تبدأ الغرائز بالخروج من الأطر التي يرسمها لها العقل، وتعمل لتبرير هذا الخروج، وإسباغ الشرعية عليه، بسنّ القوانين التي تصدر لتبريرها أكثر مما تعمل لتحديدها، وماأسهل إسباغ الشرعية على نزوات الغرائز، طالما القوانين تصدر عن مجموعة من نفس البشر الذي أطلق غرائزه: فلايبقى شيٌ من المعاصي إلا ويبرره القانون بشكل من الأشكال، وإذا كانت المعاصي كلها شذوذاً، فالمجتمع الذي ينخر فيه الشذوذ لابد أن ينتهي بالإنهيار.

ولنأخذ مثلاً لذلك، غريزة حب السلطة والإستعلاء، هذه غريزة كبحها

العقل القرآني بإعلان غلق أبواب السماء في وجه من يمارسها: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّاً في الأرض ولافساداً والعاقبة للمتقين**﴾ (١).

ومعلوم أن هذه الآية لاتلغي هذه الغريزة في المجتمع، ولكن شتان بين أن تمارس علناً، وبين أن تموه في أهداف مشروعة، حذراً من أن يكتشفها المجتمع، فتأتي النتائج عكسية.

ثم جاءت وبرزت هذه الغريزة في أساليب الإعتراف بحب الإستعلاء الثورية والإنتخابية، والحزبية، وغيرها، فانطلق أصحاب هذه الغريزة لممارستها بلا قناع، وإذا كانت هذه الغريزة لاتقف عن حدّ، وإذا كان أصحابها كثيرون، وإذا كانت المجالات التي يمكن التزاحم عليها محدودة، فمن الطبيعي أن ينقلب مفهوم (تعاون البقاء) الإنساني النبيل إلى (تنازع البقاء) الوحشي الرخيص.

وبمقتضى مشروعية (تنازع البقاء) يسعى الأفراد من داخل الأسرة الواحدة، إلى تحشيد مايمكن تحشيده من أفراد وأشياء، لممارسة (تنازع البقاء) على أي شئ يمكن التنافس عليه.

وبمقتضى مشروعية (تنازع البقاء) يبقى الحق دائماً مع الأقوى، لمجرد أنه أقوى، فالناجح في ممارسة حق (تنازع البقاء) المشروع، عظيم تظفر لمفرقه أكاليل الغار، وليس جانياً يعاب أو يلام.

---

(١) القصص: ٨٣.

وهكذا تتكون التكتلات المسلحة بالأسلحة المناسبة لكل مرحلة، ابتداءً من الأشقاء في الأسرة الواحدة، ومروراً بالمدرسة والسوق والشارع، والدوائر الإنتخابية، والمجالس الرَّسمية، والمحافل الدُّولية، والدول الكبيرة، ثم تشتعل بينها الحروب المشروعة ـ حسب المبدأ المذكور ـ بأشكالها المختلفة.

وإذا كانت الثروات الطبيعية والعلوم الحديثة، ومبدأ (سباق التسلح) مكنت الدول الكبار من إعداد معدات عسكرية تكفي لإبادة الحياة على وجه الأرض ملايين المرات، وإذا كان تجويع شعوب العالم لأجل التوفير على المعدات العسكرية مشروعاً حسب مبدأ (تنازع البقاء) وطبق القوانين الصادرة من المجالس ـ ذات الصلاحية ـ وإذا كان تحريك هذه المعدات لتدمير الحياة على الأرض ـ أيضاً ـ مشروعاً اتخذ بشأنه قرار الدول الكبار وفق معادلات معينة وبأسباب معينة، وإذا كانت مطامع الدول الصناعية القوية تدفعها إلى إحتلال الدول الغنية بالمنتجات الأولية وفق مبدأ (تنازع البقاء) فمن الطبيعي جداً أن يأتي الوقت الذي يتحرك فيه جنون بعض قادة العالم ـ على أثر عصرات قوية ـ فتنطلق فيه جميع المعدات العسكرية للإنقضاض على بعضها ـ إتباعاً لفكرة الضربة القاضية ـ فتشتعل المدن الكبار، لتتحول خلال دقائق إلى محارق لعشرات الملايين من البشر، وتنتشر في الأجواء سحب ذرية بحثاً عن بقايا البشر، لإصابتها بالعاهات المخيفة فتنفرط الحكومات وأجهزة الأمن والشرطة، ولايبقى إنسان قادر

على الحركة إلا ويكون مذعوراً قلقاً معطل المشاعر، لايدري أيبكي أقرباءَهُ الذين ماتوا قتلاً أو حرقاً؟ أم يواسي الآخرين الذين جرحوا او تشوهوا؟ أم يحمي نفسه من الغارات والمخاوف المتوقعة؟ أم يبحث عن القوت والسلاح والمال والمكان وسائر الأشياء التي قد تمد في حياته؟؟

هكذا يفقد كل إنسان توازنه، وتتفاعل فيه المخاوف والمطامع، عالماً بأن أجهزة الحكومات قد تعطَّلت فلا يحميه إلا نفسه، ولا يعاقبه إلا ندّه، فيتحرَّك عشوائياً يقتل وينهب ويغتصب ويدمّر، طاغياً خائفاً، فيسود القطاعات البشرية المتبقية طوفان عارم من القلق والفوضى، ويصبح كل فرد ظالماً أو مظلوماً، أو ظالماً ومظلوماً في آن واحد.

في مثل هذه الأوضاع الموحشة القلقة التي قضت على ثلثي البشر، وبقي الثلث الآخر بين الأنقاض والأشلاء والرماد يعاني الموت بالتقسيط، ينطلق صوت العدالة والسعادة، فتمتصه المشاعر قبل الآذان، وتصفق له القلوب قبل الأكف.

والناس إذا اصيبوا يبحثون عن الملجأ مهما كان، فكيف إذا كانت الإصابة رهيبة كتلك والملجأ وديعاً مثل هذا؟

في حين الظهور:

٧ـ إن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام عندما يظهر يفتح طريقه بقوة السلاح من الحجاز عبر سوريا والأردن إلى فلسطين، وهناك يذهب إلى بيت المقدس لأداء الصلاة، وحينما يتقدم الصفوف ويهم بتكبيرة الإحرام، ينزل

المسيح عليه السلام من السماء الرابعة إلى بيت المقدس، فيتراجع الإمام المهدي عليه السلام من المحراب ويقول للمسيح: (تقدم فصل بنا ياروح الله) فيأخذ المسيح عليه السلام بعضد الإمام المهدي عليه السلام ويعيده إلى المحراب، ويقول له: (بك تقام الصلاة) فيتقدم الإمام المهدي ويقتدي به المسيح، وعندما يرى المسيحيون أن المسيح يصلي خلف المهدي يؤمنون به بلا قتال.

والمسيحيون ـ اليوم ـ يشكلون الأكثرية الساحقة في الدول الكبار، فإذا استسلمت له الدول الكبار، فإن بقية الدول تعلن ولاءها له رغباً ورهباً.

ونحن نرى ـ في أيامنا هذه ـ أنه لايظهر ثائر، إلا ويشغل كل الدوائر السياسية في العالم، ويضع كل أفراد شعبه أيديهم على قلوبهم خشية بطشه، رغم أن الثائر ليس إلا رجلاً عسكرياً استخدم تكتيكاً معيناً للسيطرة على عاصمة بلاده، ورغم أن الناس تعودوا أن يستفيقوا على الثورات، وعرفوا حدود الثورات، ووجدوا أن الثائر صبيحة ثورته أكثر الناس فزعاً من المعاكسات، فيبادر إلى غلق الحدود مع جيرانه، والمفاوضة مع السفارات المعتمدة في بلاده، والمعسكرات النائية، وربما يتنازل لها عن كثير من كرامته وكرامة بلاده، للإطمئنان على حياته، فكيف إذا ظهر قائد فتح مجموعة من البلاد وأسقط عدة حكومات، واستسلمت له الدول الكبار خلال أيام؟

الولاية التكوينية للإمام عليه السلام:

٨ ـ في الأحاديث المنقولة بهذا الخصوص دلالات واضحة على أنه

يستخدم ولايته التكوينية لبسط سلطانه على الأرض، فهو وعد الله الذي ورد في القرآن: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصَّالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنَّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً..﴾** (١).

فإذا شاء الله أن يمكِّنه في الأرض كما مكّن سليمان ويوسف عليهما السلام، فإن الأمر لايحتاج إلى أن نجهد نحن للتعرف على كيفية إنتصاره.

نشر العدل العام:

٩ ـ بالإضافة إلى أنه يطمئن الناس إلى عدالة قضيته، عن طريق المعجزات التي تحُفُّ بحركته، وعن طريق إظهاره مواريث الأنبياء، وإذا إطمئن الناس إلى عدالة شخص أسرعوا إلى التجاوب معه، والناس دائماً يلتفون حول من يحسن رفع شعار الحق وإن كان مبطناً بالباطل، فكيف إذا اطمئنُّوا إلى شخص أنه حق لايشوبه باطل.

ظاهرة التشكيك في حياته عليه السلام:

الظاهرة الثالثة، وهي ظاهرة التشكيك في حياته حتى الآن..

ويمكن مناقشة هذه الظاهرة علميّاً ودينياً.

تفنيد التشكيك علميّاً:

١ ـ أما مناقشته علمياً فكما يلي:

الأول: أن التفوّق موجود في جميع الموجودات، ابتداءً بالجمادات

---

(١) النور: ٥٥.

والنباتات وانتهاءً بالحيوان والإنسان، وذلك على أثر تغيير بسيط في التركيب الكيمياوي أو الفسيولوجي..ففي الأجرام الفضائية توجد نجوم تفوق جميع النجوم في حجمها وكهربتها وعمرها نتيجة لتوفر مواد فيها غير متوفرة في بقية الأجرام الفضائية، وفي النباتات تظهر نباتات متفوقة في الحجم والفاعلية.

وهكذا في الحيوان والإنسان، والعاديات تشكل طبقة مألوفة، ثم ترتفع فوقها طبقة المتفوقات، التي تعلو عليها جميعاً قمة المتفوقات، وتكون خارجة على المألوف وخارقة للعادة بفاصل كبير، وإذا كان لكل فصيل من الكائنات متفوق يظهر في زمان، فماذا يمنع أن يكون الإمام المنتظر قمة المعمّرين، وظهر في هذا الزمان لفارق في تركيبه الجسماني.

ولانريد أن نملأ الصفحات بذكر النماذج المتفوقة، فإن دراسة لعلوم الطبيعيات تشهد بوجود التفوق في جميع المخلوقات.

الثاني: أن العلم لايستطيع أن ينفي شيئاً، لأنه ليس إرادة تفرض على الكائنات، وتحدد مسارها، وإنما هو إنطباع حاصل من إستقراء بعض الكائنات، وليس حاصلاً عن إستقصائها جمعاء، لأن البشر وإن استطاع إستقصاء جميع المصاديق المعاصرة من فصيل مطروح للدرس، فإنه لايستطيع إستيعاب الزمان حتى يستقصي جميع المصاديق، فيأخذ عنها إنطباعاً مطمئناً إلى إعتماده على الإستقصاء، وإستقراء بعض المصاديق يولد إنطباعاً يصلح لتوسيع (أرشيف المعلومات) ولايولد قاعدة ثابتة يمكن

الإعتماد عليها للحكم على مالم يتم استقراؤهُ من المصاديق، وقد ثبت في (علم المنطق): (أن الجزئي لايكون كاسباً ولامكتسباً) ويعني بالجزئي كل إستقراء لم يستوعب الكل ولو بإنفلات مصداق واحد.

لذلك يبقى العلم التجريبي في نطاق (النظرية) أو (الإنطباع) الذي يصلح لإعطاء فكرة عن الفصائل المدروسة، ولايصلح قاعدة لمعرفة كل مصاديق هذه الفصائل، فلهذا نجد الكائنات تواصل تطورها وتوالدها، ونجد العلمّاء يسيرون خلفها لإلتقاط مزيد من الصور، لتوسيع أرشيف معلوماتهم، وهم يُغيّرون معلوماتهم كلما وجدوا نموذجاً يختلف عن النماذج المعروفة.

● مثلاً كانوا يقولون بوحدة أصل الأنواع، وبأن القرد أصل الإنسان، ثم غيَّروا معلوماتهم بهذا الخصوص.

● وغيَّروا معلوماتهم حتى الآن عدة مرات في تحديد تاريخ الإنسان على الأرض.

● وغيَّروا معلوماتهم في طريقة تكوّن الأرض، وفي المواد التي يتكون منها النفط، وغيروا معلوماتهم بالنسبة إلى أشياء كثيرة فيما يتصل بالأجرام الكونية، والشهب والزلازل، والمعادن، وعدد العناصر الأولية للكون، والطب وغيرها...حتى أصبح تغيير المعلومات شيئاً سهلاً ومألوفاً لايفاجئ أحداً ولايعاب عليه أحد، فما من كشف جديد إلا ويساوي تغيير سلسلة من المعلومات.

والعلماء يرون اليوم أن تركيبة جسم البشر المعروف حالياً لايتحمل البقاء

طويلاً، وهم يبحثون عما يساعده على البقاء لفترة أطول، وهذا يعني عدم إستحالة البقاء الطويل، كما يعني أنهم يتوقعون العثور على وسيلة للبقاء الطويل، فلا مفاجئة إذا عرفوا شخصاً عثر على تلك الوسيلة وجرَّبها في نفسه.

الثالث: لقد توصَّل علم الطب إلى أن الجسم البشري صالح للبقاء الطويل إذا لم يتعرَّض لنكسات صحية، ذلك أن الجسم مركب من خلايا عادية وخلايا نبيلة، فالخلايا العادية، وإن كانت تستهلك بسرعة على أثر الفعاليات العضلية، إلا أن الجسم مزود بأجهزة لتوليد كل أنواع الخلايا العادية التي يحتاجها الجسم، والخلايا النبيلة وإن كان عددها معيّناً منذ الولادة، ولايوجد في الجسم جهاز لتوليد بدل مايتحلل منها، إلا أنها قوية وصالحة للبقاء الطويل إن لم تتعرض لصدمات.

صحيح أن الإنسان قد يولد وهو يحمل في داخله آفات تفتك به من الداخل بإستمرار، وصحيح أن البيئة المعاصرة ملوَّثة تحرم جسم الإنسان من الظروف الصحية الملائمة، ولكن هذا لايعني أنه لايمكن لأي إنسان أن يتخلَّص منها، فإذا ولد إنسان سليماً من الآفات الداخلية، وتخلص من البيئة الملوثة، فالمفروض أن يعمر طويلاً، والإمام المنتظر أحيط بظروف صحية من قبل ميلاده، لأن والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان يعلم أن عليه أن يؤهله للغيبة الطويلة، وهو خرج من البيئة الملوثة إلى (الجزيرة الخضراء) منذ صباه الباكر، وعلمه الواسع كإمام يسهل عليه إيجاد الظروف الملائمة،

وتجنّب مايؤثّر على طول العمر، فالمفروض أن يعمر طويلاً.

الرابع: أن تجارب التحنيط أثبتت أن الجسم البشري قابل لمقاومة الزمان مدى السنين، بمسحة بسيطة من مواد كيماوية اسمها (المومياء) وخلايا جسم الميت ـ رغم عدم تجددها ـ إذا كانت صالحة للبقاء، فهل تكون خلايا جسم الحي ـ مع تجددها ـ غير صالحة للبقاء ؟! غير أن البشر استطاع أن يعرف وسيلة لحفظ جسم الميت ولم يستطع أن يعرف وسيلة لحفظ جسم الحيّ، ولكن نجاح التحنيط ألقى الضوء الأخضر على طريق البقاء.

الخامس: أن التشكيك في طول عمر الإمام المنتظر ناتج من (إستبعاد) أن يعيش إنسان أكثر من ألف عام في الوقت الذي لايعيش الناس ـ غالباً ـ مائة عام، و(الإستبعاد) ليس دليلاً علمياً، فكل علماء الأمس كانوا يقولون بـ(استبعاد) أو (إستحالة) جميع حصائل العلم الحديث اليوم، وكل علماء اليوم يقولون بـ(استبعاد) أو (إستحالة) أشياء ستتحقَّق في الغد، فـ(الإستبعاد) ليس دليلاً يمكن الإعتماد عليه لنفي شيء.

تفنيد التشكيك دينياً:

٢ ـ وأما مناقشته دينياً فكما يلي:

الأول: تقول المصادر الدينية بأن العديدين من البشر عاشوا طويلاً، فالنبي نوح كانت فترة رسالته قبل الطوفان تسعمائة وخمسين سنة كما يقول القرآن الكريم: **﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان﴾** [1]،

---

(١) سورة العنكبوت/ ١٤.

وحياة نوح وسعت ثلاث مراحل، المرحلة الأولى، تبدأ بميلاده وتنتهي ببعثته رسولاً إلى قومه.

المرحلة الثانية، تبدأ ببعثته رسولاً إلى قومه وتنتهي بالطوفان.

المرحلة الثالثة تبدأ بالطوفان وتنتهي بوفاته، وفي بعض الحديث أن مجموع حياته بلغت ألفين وخمسمائة سنة [1].

---

(١) وهنا يحاول البعض التخلص من دلالات القرآن والتاريخ على أن الإنسان قد يعيش طويلاً، فيقول: (أن العرب في الجاهلية لم يكونوا يعرفون السنين والحساب، ولم يكونوا يفهمون من الظواهر الكونية سوى القمر، فكانوا يحسبون به الأيام، فكان الشهر عندهم سنة، فإذا قالوا خمسين سنة ـ مثلاً ـ عنوا خمسين شهراً)، ويمكن الإجابة على هذا القول:

أولاً: أن العرب في الجاهلية لم يكونوا بهذا المستوى.

ثانياً: أن التعبير بالسنة لم يكن مختصاً بالعرب، فكل الناس كانوا يضبطون أعمارهم وأعمالهم بالسنة كما كانوا يضبطونها بالشهر وبالاسبوع وباليوم وبالساعة.

ثالثاً: إن صح هذا القول فعلينا أن نعدل جميع التواريخ، فكلما وردت كلمة (سنة) نبدلها بكلمة (شهر).

رابعاً: علينا بعد ذلك أن نخطأ كل التواريخ، لأنها تقول ـ مثلاً ـ: فلان عاش سبعين سنة، وتزوج (كذا) من النساء ورزق (كذا) ولداً، وفتح (كذا) بلداً، مما لا يمكن أن يقوم به طفل كل عمره أقل من ست سنوات.

خامساً: أن النصوص الإسلامية التي تحدد أعمار نوح وخضر وإلياس و...نصوص لم تصدر في الجاهلية وإنما صدرت في الإسلام.

سادساً: أن القرآن بنفسه يتولى تحديد مفهوم السنة في كل الشرائع، فيركز على أن السنة ←

والخضر وإلياس كانا من قبل موسى بن عمران، ولا زالا حيّين يرزقان.

وعيسى بن مريم ولد قبل حوالي ألفي سنة وعاش إلى اليوم، ولن يموت قبل أن ينزل من السماء، ويوجّه المسيحيين إلى الدين الحق، كما يقول القرآن: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾ (١) (٢). والأعور الدجّال كان قبل أيام النبي الأكرم ﷺ ولازال حيّاً،

← تعني اثني عشر شهراً في كل الديانات، لأن الله قررها هكذا منذ الأزل، فيقول: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم...**﴾ التوبة: ٣٦.

ولا يمكن أن يعلن القرآن هذا القرار بمثل هذا الزخم، ثم يخرج القرآن ذاته على هذا القرار فيستخدم المفهوم الجاهلي للسنة.

(١) النساء: ١٥٩.

(٢) قد يناقش في ذكر عيسى بن مريم مع بقية المعمرين، بأنه يعيش في السماء، فهو خارج عن نطاق هذا البحث، الذي يدرس حدود حياة إنسان الأرض، ولا يحاول دراسة حدود حياة إنسان السماء التي قد تكون حياة روحية أشبه بحياة الملائكة.

وقد نجيب على هذه المناقشة بما يلي:

الأول: صحيح أن الحديث مكرس لمعرفة حدود حياة إنسان الأرض، ولكن عيسى بن مريم إنسان الأرض، وقد عاش فترة من عمره على الأرض، وسيعيش فترة أخرى من عمره على الأرض، وبين هاتين الفترتين يمضي فترة من عمره في السماء وهذا لا يخرجه من نطاق إنسان الأرض.

الثاني: أن أرضنا هذه وكل الأجرام السابحة في الفضاء وكل السماوات داخلة في نطاق الدنيا،

←

وسيبقى حتى يقتل بيد عيسى بن مريم عند ظهور الإمام المنتظر. وعوج بن عناق ـ سبط آدم ـ عاش ثلاثة آلاف سنة حتى قتله موسى بن عمران، حسب النصوص الواردة في شأنه.

وإذا عاش غير الإمام المنتظر طويلاً فماذا يمنع أن يعيش الإمام المنتظر طويلاً، وهو لم يبلغ حتى الآن من العمر مابلغه أولئك.

سؤال:

إذا كان الإنسان القديم يعيش طويلاً، فلأن معدل الأجسام والأعمار لكل الكائنات الأرضية كان أعلى نتيجة لفتوَّة الأرض وقوة حرارتها الباطنية، أما في هذه الفترة من عمر الأرض، التي انخفضت فيها حرارة الأرض الباطنية، وبالتبع انخفضت معدل جميع الكائنات الأرضية فلايمكن لإنسان أن يعيش أطول من المعدل بكثير.

جواب:

أولاً: صحيح أن نسبة الحرارة الباطنية للأرض تنعكس على معدلات الكائنات الأرضية، ولكنها ليست السبب الوحيد لتحديد تلك المعدلات،

← فعالم الأرض وعالم السماء عالم واحد، ولعل مقاييس الجسم البشري فيهما واحدة.

الثالث: أن عيسى بن مريم يعيش الآن في السماء بجسمه الترابي، ولايعيش بروحه عيشة روحية كالملائكة، وحينما يرجع من السماء إلى الأرض يرجع بجسمه الترابي، وتأكيد القرآن على أنّه لم يقتل ولم يصلب، للدلالة على أن الله رفعه إليه بجسمه الترابي، وإلا لم تكن مزية لعيسى بن مريم على غيره، فكل الأموات يرفعون بأرواحهم إلى الله.

فالتركيبات الكيمياوية هي التي تقرر المعدلات، وحرارة الأرض تساهم في تقرير المعدلات عن طريق إنعكاسها على التركيبات الكيمياوية، فإذا أمكن التوفير على تلك التركيبات ارتفعت المعدلات حتى مع إنخفاض حرارة الأرض، وإذا حدث التهريب لنسبة معينة من تلك المركبات انخفضت المعدلات حتى مع إرتفاع حرارة الأرض.

ومن هنا تسود الأوساط العلمية فكرة تسميد الكائنات النباتية والحيوانية بالمواد الكيمياوية لتصعيد معدلاتها.

ثانياً: أن أكثر المعمرين الذين ذكرناهم لايعتبرون من الإنسان القديم، لأنهم لازالوا أحياء حتى اليوم، كالخضر وإلياس والمسيح والدجال.

الثاني: تؤكد النصوص المبشرة بالإمام المنتظر، على أنه هو المهدي بن الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه هو الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً، وقد وردت بشأنه تلويحات سماوية في الكتب المقدسة، وتصريحات نبوية عن جميع الطرق الإسلامية، والنصوص التي تصرح بإستمرار حياته حتى يظهر ويُظهر الله به دينه على الدين كله مستفيضة إن لم تكن متواترة.

والأحاديث التي وصلتنا عن رسول الله ﷺ حول المهدي المنتظر، ونسبه ومواصفاته النفسية والجسدية، تتجاوز ألف حديث (نذكر في هذا الكتاب

قسماً منها) وردت بجميع الطرق الإسلامية وتتواجد في كافة الصحاح والمجاميع المعتبرة، وبأسانيد فيها مجموعة موثقة لدى جميع المسلمين.

وهل بإستطاعة مسلم أن يجد هذا الحشد الكبير من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ثم ينكر محتواها؟ مع العلم بأن المسلمين يأخذون بالخبر الواحد، وبالسند الواحد إذا كان موثقاً.

الثالث: إن الناس ـ عادة ـ إذا وثقوا بشخص أو بمصدره يقبلون كل مايصلهم منه ويخطئون أنفسهم إذا لم يستطيعوا هضم بعض مايصلهم منه، فأنت تضع نفسك في كف قائد طائرة تقلها، وأنت لاتعرف شخصه ولاشيئاً من خبرته ثقة بإدارة شركة طيران لاتعرف شيئاً عنها، رغم كل ماتسمع وتقرأ عن أخطاء قادة الطائرات. وربما تسلم قلبك أو دماغك لمبضع جراح، ثقة في المعاهد التي تُخرّج الأطباء، رغم كل مايتناهى إليك من زيف الشهادات ومداهنة المعاهد لطلابها، والجندي يخوض معركة ساخنة فيها الموت، ثقة بقيادته التي قد يعرفها بالطيش والمجون...وهكذا الناس يتعاملون مع المصادر التي استقطبت ثقتهم فيما يفهمون وفيما لايفهمون من توجيهاتها اتكالاً على ثقتهم بها، ويسفهون أنفسهم فيما يستغربون تطميناً لتلك الثقة أن لاتخدش، فالأحرى بمن آمن بالله ورسله ورسالاته، إيمان العقل والقلب والضمير، أن لايتردد في قبول ماقد يبدو لديه مستغرَباً أو مستبعَداً، خاصة وهو يعلم أن قدرة الله مطلقة، وأن الله لايعجزه شيء في الأرض ولافي

السماء.

وإذا سألت أحد المؤمنين بالله: هل الله يستطيع أن يخلق من هذه الأرض، ومن مثل هذه البيئات المعاصرة، إنساناً يعيش بكامل نشاطه النفسي والجسدي ملايين السنين دون أن يهدّه الزمان؟ فسيكون الجواب حتماً بالإيجاب، وطالما هو يحمل مثل هذا الإيمان بقدرة الله، فكيف يمكن له أن ينكر أو يشكك في حياة إنسان عاش ألفاً واحداً من السنوات، بعد أن ثبت في الأوساط المعبرة عن الله، أن الله خلق هذا الإنسان، ولايزال يهيئه لأحداث تطور عالمي كبير.

فالإيمان بالله، والعلم بأن رسول الله قد أخبر بالإمام المنتظر، لايتوافقان مع إنكاره أو التشكيك فيه مهما كانت المبررات، والذي ينكر الإمام المنتظر أحد شخصين: إما غير مؤمن بالله في قرارة نفسه وإن تظاهر بالإيمان، فيأخذ بمعطيات عقله على حساب مقتضيات إيمانه، وإما شاك في أن رسول الله ﷺ قد أخبر بالإمام المنتظر، فعلينا أن نحول الشخص الأول على الأدلة التي تقول بأن وجود إنسان ألف عام أو أكثر ممكن علمياً، وأن نحول الشخص الثاني على المصادر التي يأخذ منها دينه ليجد فيها وجه الإمام المنتظر.

فائدة الإمام الغائب

الظاهرة الرابعة: وهي ظاهرة التشكيك في فائدة الإمام الغائب، فيمكن مناقشة هذه الظاهرة بما يلي:

الولاية التنفيذية:

١ ـ إن الإمام ـ بمفهومه اللغوي ـ مطلق من يُؤتم به، أي يُقتدى به، سواءً أكان المقتدي به كثيراً أم قليلاً، وسواء أكان الذي يقود عبره حقاً أم باطلاً، فإمام الجماعة إمام لأن من هم خلفه يقتدون به في تنظيم حركات الصلاة، ورئيس الدولة إمام لأن من هم في دولته يقتدون به في تنظيم تصرفاتهم الجسمانية، والنبي إمام لأن من هم في محيط دعوته يقتدون به في تنظيم تصرفاتهم الروحانية فقط، إذا كانت رسالته روحانية بحتة، أو يقتدون به في تنظيم تصرفاتهم الروحانيَّة والجسمانية معاً، إذا كانت رسالته روحانية وجسمانية معاً، وبما أن الإمام ـ بمفهومه اللغوي ـ مطلق من يُقتدى به، بغض النظر عن نوعية الخط الذي يقود عبره، عبَّر الله تعالى عن الفراعنة بـ(أئمة) فقال: ﴿...**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾ [1] كما عبّر عن الأنبياء من أولاد

---

(١) القصص: ٤١.

إبراهيم بـ(أئمة) فقال: ﴿...**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ [1].

والإمام ـ بمفهومه الإصطلاحي ـ كل من يخوله الله قيادة تكوينية، وإذا لم يخوله الله قيادة تكوينية، فليس إماماً، حتى ولو كان نبياً، وحتى ولو كان رسولاً، وهكذا يختلف مفهوم (الإمام) عن مفهوم (النبي) كما يختلفان عن مفهوم (الرسول)، وإذا أردنا إيضاح الفارق بين هذه المفاهيم علينا أن نقول:

النبي والنبوة:

أ ـ **(النبي)** هو الذي ينبئه الله ويخبره مباشرة بما يشاء، والنبوة رتبة ينالها كل من علم الله تعالى فيه كمالاً روحياً يؤهله للإطلاع على ماوراء المحسوسات بالحواس الخمس، فيمنحه الله سبحانه قدرة على رؤية ماوراء الحجب والمسافات ورؤية الروحانيات كالملائكة والجن والشيطان وقد سجل الله تعالى هذين الأمرين لإبراهيم الخليل عليه السلام في القرآن حيث قال: ﴿**وكذلك نُريَ إبراهيم ملكوت السماوات**﴾ [2]، كما أن الله يمنحه كرامة عظمى، فلا يتصل به بواسطة رسول من الناس، وإنَّما يتصل به وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل إليه رسولاً من الملائكة، فيكون متصلاً بالسماء مباشرة، وإن كان قد يأمره الله بالتنسيق مع نبي معاصر له، أو بإتباع رسول سبقه، مع بقائه نبيَّاً ينبئه الله بصورة مستقلة ومباشرة.

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) الأنعام: ٧٥.

فيشبه ـ في العرف الديبلماسي ـ السفير الذي تأتيه الحقيبة الديبلماسية مباشرة، ولايكون كالقنصل الذي يستقبل الأوامر الصادرة إليه من حكومته بواسطة سفير، وقد نصَّت بعض الأحاديث الشريفة على أن الرسل سفراء الله.

والنبي قد يؤمر برسالة معيَّنة إلى الناس فيكون نبيَّاً رسولاً وقد لايؤمر برسالة إلى الناس، وإنما بمهمات خاصة خارجة عن نطاق الشرائع، فيكون نبياً غير رسول.

الرسالة والرسول:

ب ـ و(الرسول) هو الذي يؤمر ـ من قبل الله ـ بتبليغ رسالة معينة، سواء أكانت تلك الرسالة موجهة إلى أُناس معينين أم إلى الناس أجمعين.

فبخصوص يونس بن متّى يقول الله تعالى: **﴿وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾** [1]، بينما يقول للنبي الأكرم ﷺ: **﴿وماأرسلناك إلا كافة للناس﴾** [2] وسواء أكان ذلك الرسول مأموراً من قبل الله مباشرة أم بواسطة رسول من الناس، فمثلاً قال الله تعالى لموسى بن عمران ـ عنه وعن أخيه هارون ـ: **﴿إذهبا إلى فرعون﴾** [3] و **﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري﴾** [4]،

---

(١) الصافات/١٤٧.

(٢) سبأ/٢٨.

(٣) طه/٤٣.

(٤) طه/٤٢.

فيما قال عن ثلاثة من رسل عيسى بن مريم: **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾** [1].

وفي بعض الحديث، أن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا ممن يستقبلون الرسالة مباشرة من قبل الله، وإنما كانوا من المؤمنين برسالة عيسى بن مريم.

و (**الرسالة**) شريعة، قد تكون شاملة تعطي فلسفة الكون والحياة والإنسان وتنظيم نشاطات الإنسان بجانبيها الروحي والمادي، وربما تكون محدودة تعطي فلسفة الكون والحياة والإنسان فقط، أو تنظم النشاطات الروحية فحسب، وربما تكون محصورة بتصحيح بعض الأخطاء الطارئة على مسيرة قوم مؤمنين.

و (**الرسالية**) صلاحية يخولها الله تعالى لمن تتوفر فيه مواصفات تؤهله لحمل رسالة السماء إلى الناس، وهذه المواصفات يلزم أن تبلغ درجة (**العصمة**) في مستوى رفيع حتى تؤهل صاحبها لإستقبال الرسالة مباشرة من السماء، ويلزم أن تبلغ درجة (**العصمة**) في مستوى أقل من ذاك حتى تؤهل صاحبها لإستقبال الرسالة من رسول من الناس.

فالرسول إذا تلقى رسالته مباشرة من السماء أصبح رسولاً ونبيَّاً، كما يقول الله بحق إسماعيل عليه السلام: **﴿وكان رسولاً نبياً﴾** [2]، وإذا تلقى رسالته من رسول

---

(١) يس/١٤.

(٢) مريم/٥٤.

من الناس، أصبح رسولاً غير نبيّ في بعض المصطلحات.

الإمامة والإمام:

ج ـ و(**الإمام**) هو الذي يؤمر من قبل الله بـ(الولاية التنفيذية) سواء أكان الإمام رسولاً، مثل إبراهيم الخليل الذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ [1]، أو كان نبياً غير رسول، مثل الألوف من الأنبياء الذين لم يصلنا حتى أسمائهم أو لم يكن نبياً ولارسولاً بل وصيًّاً لنبي مثل آصف بن برخيا وصي سليمان بن داود، ومثل يوشع بن نون وصي موسى بن عمران.

والأنبياء الأئمة كثيرون سجل القرآن بعضهم مثل إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب الذين قال عنهم: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ [2].

والإمامة ـ مثل الرسالية ـ صلاحية يخوّلها الله كل من تنسجم مواصفاته مع (الولاية التنفيذية).

وقد ظهرت للناس آثار (الرسالية) وصلاحية (الإمامة) من الله حينما خلق الكون وضبطه بكل عوالمه وخلائقه الكثيرة المعقدة بإدارة شاملة محكمة لاتنفلت منها نبضة عصب ولاحبة مطر، ولاهبة نسيم، ولاأدنى من ذلك ولاأكبر، وتظهر هذه الإدارة في حركات المجرَّات المُخيفة، وفي شبكات الرَّي المنتشرة في كافة أنحاء ورقة الكَرْم، وفي المهمات الحسّاسة التي

---

(١) البقرة/١٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

تؤديها الخلية المجهولة في دماغك، وفي التفاعلات الدقيقة التـي تـنجزها مليارات الأشعة الفاعلة في الكون.

والناس عندما يجدون البروتون الموجب يدور حوله الإلكترون السالب (كذا) دورة في الثانية، يقولون البروتون الموجب يدور حـوله الإلكـترون السالب، ولكنهم لايتساءلُون: من الذي يدير هذه حول تلك، وعندما يرون حبات المطر تتساقط هنا لاهناك، يقولون: السيول تـجتاح هـذه المـنطقة، والمواشي تموت في تلك المنطقة على أثر الجفاف، ولايتسائلون من الذي أسقط المطر في هذه المنطقة وحرم منه تلك، وعندما يسمعون بأن فجوات هوائية تحدث هنا بينما هناك يرتفع ضغط الهواء، أو عندما يـعرفون مـياهاً جوفية هنا، وأطنان الأورانيوم هناك، وحبات ألماس ترقد هنالك، يكتفون بالإطلاع عليها والإستفادة منها فحسب، ولايحاولون التعرف على الجـهاز الإداري الذي يؤدي هذه الأعمال، ولا إستيعاب الأسباب التي تنتهي بـهذه التركيبات، تماماً كالبدوي السائح الذي يدخل مدينة متحضرة بلا مـترجـم ولادليل فيرى الشاشة الصغيرة هنا تتابع عرض مشاهدها، وهناك هـوائـية جبارة جامدة تحت الشمس والمطر، وهنالك آليات متحركة تتراكض فـي خطوط متشابكة من الفجر إلى الفجر، وإلى جانبها غرفة كبيرة تضج بأصوات آلات حديد تتحرك تلقائياً وتعج بالأسلاك متزاحمة متراكبة وفوق البيوت أجسام كبيرة تسبح في الهواء وتزعق بلا إنقطاع، وعلى بعض الجـدران آلة

صماء معلقة يأتي الناس إليها فيرمون النقود في جيبها ويظلون يتكلّمون ويضحكون لها وهي لاترد عليهم، فيذهب إلى نجمة كبيرة مرمية وسط الشارع ليخطفها إلى كوخه فينفضه تيار الكهرباء، ويحاول أن يمرّ الشارع فيصرخ به الرجال، ويريد أن ينام على الرَّصيف فيقوده رجال الشرطة إلى موقف، ويدخل المطعم ويختار طعاماً يروق له منظره فلايستطيع تناوله.

وتماماً كالطفل الذي يجد أسلحة أبيه، فيحاول التعرف عليها والإستفادة منها في أغراضه الطفولية فتنفجر بين يديه، فتدمره وتقضي على حياته.

لابد أنك رأيت في حياتك مثل ذلك البدوي ومثل هذا الطفل.

بهذا الشكل يتعامل كبار علماء الطبيعيات مع الكون، فيرون الأشياء وكأنّها متبعثرة، وكأن كل شئ يتحرَّك ارتجالياً وبدافع ذاتي بلا هدف ولاوسيلة ولاخطة، لذلك يجهدون أكثر مما ينبغي، ويهدرون طاقات بشرية ومادية هائلة، ثم يستفيدون أقل مما ينبغي.

ويأتي أدلاء الكون ومصادر الوحي، فيقولون: إن الكون كله وحدة مترابطة مشدودة بالأسباب والمسببات، ومسيرة بإرادة شاملة محكمة، فما من حبّة مطر إلا ويأتي بها ملك ليضعها في موضعها المناسب، وما من نطفة إلا ويفصل ملامحها ويخطط جغرافية حياته وأعماله ملك، ولاتتحرك ريح ولاموج ولانجم ولاسحاب إلا ويحركه ملك وفق خطة حكيمة، ولاتنبض خاطرة في دماغك إلا بوحي ملك أو شيطان.

صحيح أن الله يصمم جميع الأقدار، وأنه يستطيع أن يدير كل العوالم بلا جهاز إداري، ولكن شاء أن يديرها بجهاز إداري، ففي بعض الحديث: (أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها) كما أن الله قادر أن يرزق جميع الناس من فوق رؤوسهم ومن تحت أقدامهم بلا سعي ولاحاجة أحد إلى أحد.

ولكنه شاء أن يرزق الناس بمساعيهم، وأن يرزق بعضهم ببعض، **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾** (١).

وكما أن الله قادر أن يُلهم كل واحد من الناس شرائع دينه بلا وسائط، كما ألهم الحيوانات وظائفها بلا وسائط فقال: **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾** (٢)، ولكنه شاء أن يعلمهم شرائعهم بواسطة الأنبياء والأوصياء والعلماء، وكما أن الله قادر على أن ينزع خصائص الأرض من الناس ليعيشوا كالملائكة، هوايتهم الهدي وشهوتهم العبادة، ولكنه شاء أن يتعرَّضوا للتجربة، حتى يبلغ كل مداه فقال: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين﴾** (٣).

وكما أن الله قادر أن يخلق البشر من غير أبوين، وأن يخلق الحيوان

---

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) النحل: ٦٨ـ٦٩.

(٣) هود: ١١٨.

والنبات من غير أصل، وأن يوجد جميع الأنواع ارتجالاً من لاشيء، ولكنه شاء ـ بحكمته البالغة التي لم يؤهلنا لإستيعابها ـ أن تكون سنة الخلق في مسلسلات متوالدة، هكذا شاء الله أن يوكل الكائنات إلى جهاز إداري هرمي ـ وأن لاينفذ شيء إلا بعلمه الدقيق وإرادته المباشرة ـ إلا أن هذا الجهاز موكل بتنفيذ إرادة الله في خلقه، فوظف مجموعات من ملائكته في هذا الجهاز أسماهم في القرآن بـ﴿فالمدبرات أمراً﴾ (١).

وجعل على كل قسم ملكاً من أعظم ملائكته فوكل(رضوان) بالجنة، ووكل(مالك) بجهنم، ووكل(جبرائيل) بالرسالات والرسل وعقاب المتمردين عليها، ووكل (اسرافيل) بنفخة الصور، ووكل (ميكائيل) بالأرزاق ووكل ملكاً عظيماً اسمه (الروح) بالأقدار، ووكل (عزرائيل) بالأرواح ووكل ملكاً بالرياح، وملكاً بالبحار، وملكاً بالشمس، وملكاً بالقمر، وملكاً بالأرض، وملكاً بكل سماء من السماوات، وجعل لكل قسم من هذه الأقسام فروعاً، ووظف على كل فرع ملكاً تتناسب مؤهلاته مع مهمته في تسلسل إداري دقيق (٢) ثم جعل فوق الملائكة الموكلين بالأقسام الرئيسية،

---

(١) النازعات: ٥.

(٢) لعل القدماء تلقوا معلومات مشابهة لذلك من الأنبياء، وبسبب إنحرافهم عن تعاليم الأنبياء، ومع تفاعل غريزة العبادة بالمعلومات الناقصة أو المشوهة اتجهوا إلى تسمية الملائكة الموكلين بالأقسام التكوينية(آلهة) ثم اتجهوا إلى نحت التماثيل لهم لذلك نجد الشبه بين إختصاصات (آلهة) القداس ومهمات الملائكة الموكلين بالأقسام التكوينية.

رجلاً من البشر يمثل قمة الهرم، وإذا أردنا التشبيه فمن الممكن أن تشبّه الرجل القمة برئيس مجلس الوزراء، وأن تشبّه الملائكة الموكلين بالأقسام الرئيسية بالوزراء، وأن تشبه الفروع الممتدة من كل قسم بالمديريات المتفرعة من كل وزارة والرجل القمة في جهاز الإدارة التنفيذية يطلق عليه لقب(الإمام) ويقال له: صاحب الولاية كما يقال له: صاحب العهد إقتباساً من قوله تعالى: **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾** (١).

وإلى جانب هذا الجهاز الإداري الشامل الدقيق الذي يتولى الجانب التكويني للكائنات، يوجد جهاز إداري شامل دقيق آخر، يتولى الجانب التشريعي للكائنات فيما أتاح لها الإدارة المستقلة لإتمام التجربة، وهذا الجهاز أيضاً جهاز واسع له أقسام عديدة، وعلى كل قسم مَلَكٌ من أعظم ملائكة الله، ولكل قسم فروع عليها ملائكة تتناسب امكاناتهم مع مَهامهم، وتتوالى قواعده الهرمية، ويكفي لمعرفة مدى سعة هذا الجهاز أن نعلم:

أولاً: أن كل إنسان عليه ملكان يراقبانه ويسجلان تصرفاته حتى النفخة والنأمة، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيوظف به ملكان بالليل من غروب الشمس إلى شروقها، ويوظف به ملكان آخران بالنهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فهؤلاء الأربعة إذا تركوه لايعودون إليه أبداً، ومعنى هذا أنه يوظف كل يوم أربعة من الملائكة بكل فرد.

---

(١) طه: ١١٥.

ثانياً: إن في قلب كل إنسان(لُمَّتان) أي جماعتان: جماعة من الملائكة تأمره بالخير، وجماعة من الشياطين تأمره بالشر، وهنا نقطة الإحتكاك الساخنة بين الملائكة والشياطين وموقف الإنسان أشبه بموقف الحكيم، فإذا مال نحو الشياطين ضعفت كتلة الملائكة، وإذا مال نحو الملائكة ضعفت كتلة الشياطين، ومن هنا يجد الإنسان في داخله نازعة الخير ونازعة الشر.

ثالثاً: أن الله يوكل ملائكة عظاماً بالأنبياء والأوصياء وخيار عباده الصالحين لتسديدهم وتأييدهم، كما يوكل بأنبيائه وأوصيائهم ملائكة يعلمونهم، ويخبرونهم عما يريدون الإطلاع عليه من غيب ـ في حدود صلاحياتهم ـ وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول**﴾ (١)، وقوله عزَّوجل: ﴿**ولايحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء**﴾ (٢).

رابعاً: إن كل نبي أو وصي يستخدم جماعات من البشر لتحمل أعباء التبليغ، وماقد يترتب عليه من إحتكاك يؤدي إلى كفاح.

هذا الجهاز الواسع أيضاً ركبه الله تركيباً هرمياً، ووكل بكل قسم من أقسامه ملكاً من أعظم ملائكته، ثم جعل فوق الملائكة الموكلين بالأقسام الرئيسية رجلاً من البشر يمثل قمة الهرم، وهذا الرجل يكون نبياً أو وصي نبي

---

(١) الجن: ٢٦ـ٢٧.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

منصوص من قبل الله، وتشترط فيه مواصفات تبلغ درجة العصمة، لأن الملائكة معصومون، ولايمكن أن يقود المعصومين غير معصوم.

وإذا أردنا التشبيه، فمن الممكن أن نشبه الرجل القمة برئيس المجلس التشريعي الأعلى، وأن نشبه الملائكة الموكلين بالأقسام الرئيسية بأعضاء المجلس التشريعي، وأن نشبه الفروع الممتدة من كل قسم بالمديريات المتفرعة من المجلس التشريعي الأعلى، أو بالمجالس، أو باللجان التشريعية الفرعية.

ولايطلق على الرجل القمة في جهاز الإدارة التشريعية سوى لقب(الرسول).

ومادمنا شبهنا جهاز الإدارة التنفيذي بمجلس الوزراء، وشبهنا جهاز الإدارة التشريعية بالمجلس التشريعي الأعلى، فلابد أن نقول: إن أي تشبيه في هذا المجال ليس تشبيهاً حقيقياً، وإنما هو تنظير لمجرد تقريب أصل الفكرة إلى الأذهان، خاصة ونحن ـ في الأساس ـ لانملك المعلومات الكافية في هذا المجال، لأن المستوى الثقافي في فترة نزول القرآن وصدور الحديث ماكان يسمح بإعطاء معلومات كافية في مثل هذا المجال ولايزال كذلك.

فوارق الأجهزة الإلهية مع الأجهزة البشرية:

كما أنه لابد من بيان فوارق هيكليَّة بين الأجهزة الإلهية والأجهزة

البشرية:

١ ـ في الأجهزة البشرية يكون رئيس مجلس الوزراء غير رئيس المجلس التشريعي، إلا في حالات إستثنائية يعطَّل فيها الدستور وتعطل فيها الديموقراطية، وذلك لسببين:

الأول: ألّا يتعرَّض رئيس المجلس التشريعي للضغوط، فيشرع بحرية كاملة مايمليه ضميره حسب رؤيته للمصلحة العامة، ولا يشرع ماتمليه مصلحته أو مصالح الآخرين بخلاف رؤيته للمصلحة العامة.

الثاني: أن يبقى رئيس مجلس الوزراء ووزراؤه ـ دائماً ـ تحت طائلة الحساب من قبل المجلس التشريعي، فلا تؤثر فيهم الضغوط المختلفة التي يتعرضون لها ـ بإستمرار ـ من قبل أصحاب المصالح الكبار.

بينما في الأجهزة الإلهية كثيراً مايكون رجل واحد قمة لجهاز الإدارة التنفيذية وقمة لجهاز الإدراة التشريعية جميعاً، وذلك لسببين:

الأول: المفروض فيه أنه معصوم، فلا تؤثر فيه الضغوط المختلفة التي يتعرض لها، مع العلم بأنه لايتعرض للضغوط بمقدار مايتعرَّض لها رئيس مجلس وزراء، لأن مسلكية رئيس مجلس الوزراء، لاتختلف عن مسلكية مطلق فرد، فيعرف الناس مداخله ومخارجه، وغالباً مايكون وصوله إلى مركزه عن طريق التملق وإستجداء الثقة، فيكون مطمعاً للآخرين في الوقت الذي تكون فيه مسلكية النبي أو الإمام مترفعة عن كل مايغري ويرهب،

فتنحسر عنه أطماع أصحاب المصالح الخاصة.

الثاني: أنه يرى نفسه ـ دائماً ـ تحت طائلة الحساب من قبل الله سبحانه وتعالى، فلايسمح لنفسه بالتفكير في محاورة الضغوط مطلقاً.

٢ ـ في الأجهزة البشرية، يكون مجلس الوزراء جهازاً تنفيذياً مستقلاً، فبمجرد صدور مرسوم تشكيله من قبل الملك أو رئيس الجمهورية يصبح ذا سلطة مستقلة في التنفيذ، كما يكون المجلس التشريعي جهازاً تشريعياً مستقلّا، فبمجرد إنتخاب أعضائه من قبل الشعب، يصبح ذا سلطة مستقلة في التشريع، ويصبح مصدر الشرعية ـ حسب معطيات الأنظمة الديموقراطية، صحيح أن الملك أو رئيس الجمهورية ـ في بعض النظم ـ يكون صاحب القرارات الهامة، أو صاحب الأطروحة التي لاترد، ولكن هذه ديموقراطية ـ بمفهومها الكامل ـ بالإضافة إلى أنه يبقى للمجالس التشريعية حدّ أدنى من الصلاحية وصحيح أن قرارات المجالس لاتصبح سارية المفعول، إلا إذا حملت توقيع الملك أو رئيس الجمهورية، ولكنه نوع من الروتين، فلا تتخذ المجالس التشريعية قراراتها إلا ويوقعها الملك أو رئيس الجمهورية وإذا كانت لديهما نوايا مختلفة فإنهما يبذلان تأثيرهما على المجالس التشريعية حتى لاتتَّخِذ المجالس التشريعية مقررات لايرغبان فيها، أما إذا فشلا واتخذت مقرراتها، فإنَّهما لايترددان ـ عادة ـ في التوقيع عليها حفاظاً على الحدّ الأدنى من المبادئ التي يتظاهران بها.

فيما يختلف الأمر بالنسبة إلى الأجهزة الإلهية تماماً، فالجهاز التنفيذي ـ حتى بعد تعيين أعضائه من قبل الله تعالى ـ لايصبح ذا سلطة مستقلة في التنفيذ، لأنه برمته ليس قادراً على شئ إلا بإرادة مباشرة من الله سبحانه.

كما أن الجهاز التشريعي ـ حتى بعد تعيين أعضائه من قبل الله عزَّوجل ـ لايصبح ذا سلطة مستقلة في التشريع، لأن الله جلَّ جلاله، يبقى هو المصدر الوحيد للشرعية، وهو الذي يشرع مايشاء بحكمته، وأما الجهاز التشريعي فليس ـ في الواقع ـ أكثر من جهاز تبليغي، وليست له أية سلطة أو صلاحية في التشريع وإنما عليه أن يبلغ إلى الناس ـ حرفياً ـ كل مايصل إليه من الشريعة من قبل الله تعالى، أسمعت قول الله سبحانه ـ وهو يخاطب أعظم أنبيائه ـ: **﴿فإنَّما عليك البلاغ﴾** [1]، **﴿فذكِّر إنَّما أنت مذكّر﴾** [2]، **﴿ماأنزَلنا عليكَ القُرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى﴾** [3]، **﴿ولاتجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾** [4]، **﴿ولولا أن ثبَّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً﴾** [5]، **﴿ولو تقوَّلَ علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما**

---

(١) آل عمران: ٢٠.

(٢) الغاشية: ٢١.

(٣) طه: ٢ ـ ٣.

(٤) الإسراء: ٣٩.

(٥) الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥.

منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [1].

صحيح أن لبعض الأنبياء الكبار نوعاً محدوداً من الصلاحية، فمثلاً: إبراهيم الخليل رأى أشياء كالختان، وتقليم الأظافر، وإزالة الشعر من الجسد.. فمارسها، فأقرها الله في الدين، وعرفت ـ فيما بعد ـ بـ(سنن إبراهيم).

ومثلاً: كانت فرائض الصلوات، التي أمر الله نبيه بتبليغها ركعتين ركعتين، فرأى النبي صلى الله عليه وآله أن يضيف ركعة سبحانية إلى صلاة المغرب، وأن يضيف ركعتين سبحانيتين إلى كل من صلاة العشاء وصلاة الظهر وصلاة العصر، فأقرَّ الله ذلك، وعرفت ـ فيما بعد ـ بـ(سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله).

والواقع أن كل ماورد من الأحاديث عن سنن المرسلين من أمثال هذين الموردين، لابد أن نوجههما بأحد توجيهين:

الأول: أن هذه الأحاديث لاتعني أن المرسلين كانوا يشرّعون بالمفهوم المتداول للتشريع بمعنى سنّ القانون ـ وإنما تعني أنهم في بعض الأحيان كانوا يخرجون من إطار المعنى الحرفي للنص إلى روح النص، من باب تنقيح المناط، ثم يطبقون المناط المستخلص على المصاديق التي لم ترد في نص الوحي، وكان إجتهادهم صحيحاً، لأنهم كانوا في المستوى المناسب، بدليل إقرار الله سننهم مع أن الله لا يستحيي من الحق، ومع ملاحظة النصوص

---

(١) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

السابقة التي تحدد صلاحية الرسول الأكرمﷺ في التبليغ وهذا يعني أن سننهم كانت حصيلة إجتهادات صائبة، لا أكثر.

الثاني: أنهم ربما كانوا يتفاعلون مع أشعة الوحي، بمعنى أنهم كانوا يتلقون نوعاً من الوحي الخفيّ ـ خارجاً عن نطاق المضمون الصريح للوحي ـ بحيث ربما كان يتراءى أنه شيء منهم، ثم كان الله تعالى يقرّ ذلك، تعبيراً عن تكريم الله إياهم.

وصحيح أيضاً أن في الأحاديث الصحيحة، مجموعة أحاديث تقول: بـ(أن الله أدَّب نبيه بتأديبه، ففوض إليه دينه)..وهذه المجموعة من الأحاديث، كانت تاريخياً نقطة الإنطلاق لفرقة (المفوِّضة) الذين ادعوا بأن الله سبحانه وتعالى اعتزل أمْر الشريعة كلِّياً، وتركها للنبي يقرر فيها مايشاء.

ويمكن دراسة هذه المجموعة من الأحاديث من منطلقين:

الأول: منطلق النقض، بأن هذه المجموعة من الأحاديث ـ حسب تغيير المفوضة لها ـ تناقض الآيات التي تحدد صلاحية الرسول الأكرمﷺ في التبليغ، والحديث متى نقض القرآن سقط.

الثاني: منطلق الحلّ، بأن الجزء الأول من هذه الأحاديث يمهد فهم الجزء الثاني منها بشكل آخر، لأن معنى (ان الله أدب نبيّه بتأديبه) ان الله تعالى أعطى لنبيّه مقاييس دينه بشكل تأديبي تركه يتفاعل معها، حتى لايعبر إلا عنها، ولايقلع إلا من مواقعها، وعندما بلغ هذا المستوى فوض إليه بيان

الحلال والحرام لاسن الحلال والحرام، وهو يعلم أن النبيﷺ كلما تحرك لاتخرج حركته من نطاق هذه المقاييس، كما أنك قد تربّي ابنك على عملك حتى ترى أنه تفاعل معه بعمق، وعندئذٍ تسلم إليه مقاليد عملك مطمئناً إلى أنه ـ مهما تعامل ـ لن يخرج ـ لا في الشكل ولا في المضمون ـ من المقاييس التي ارتضيتها لعملك.

وربما يوحي الحديث الشريف ـ في وصف رسول الله ـ: (كان خلقه القرآن) بما يشبه معنى تفاعل النبيﷺ مع المقاييس الإسلامية إلى درجة التطابق، حتى كان النبيﷺ يعبر عن المقاييس الإسلامية في صيغة عملية بنفس القوة التي يعبر بها القرآن عنها في صيغة نظرية، وحتى كأنَّهُما وجهان لعملة واحدة، النبي وجهها العملي والقرآن وجهها النظري.

وربما يؤكد التحليل الذي ذكرناه لأحاديث التفويض، قول الله تعالى: ﴿**وماينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى**﴾ [1]، وهذا يعني أن النبي عطف هواه على الوحي، حتى لم يبق له هاجس ولاكلام سوى الوحي، وتفويض الله دينه إليه ـ في مثل هذه الحالة ـ لايعني إلا تفويضه صلاحية التعبير عن دينه في بيان الحلال والحرام لاصلاحية التشريع.

من كل ذلك نستخلص أنه ـ في مجال الأجهزة الإلهية ـ لاتوجد سلطة مستقلة، فجهاز الإدارة التنفيذية لاتنفذ شيئاً إلا بإرادة الله، وجهاز الإدارة

---

(١) النجم: ٣ـ٤.

التشريعية لاتعبر إلا عما شرعه الله، والله تعالى وحده، هو صاحب السلطة المطلقة والمستقلة على الجهازين، وعلى كل ماينفذانه أو يعبران عنه.

٣ـ في الاجهزة البشرية يكون الإعتماد على الإنتخاب فيعتمد في رئيس وأعضاء المجلس التشريعي على الإنتخاب العام ليشترك في التشريع كل من له صلاحية إعطاء الرأي، أما بنفسه إذا فاز في الإنتخاب ـ ليكون رئيساً أو عضواً في المجلس التشريعي، وإما بواسطة منتخبه إذا لم يفز هو في الإنتخاب، كما يعتمد في رئيس المجلس التنفيذي على الإنتخاب العام، عن طريق كسب ثقة أكثرية أعضاء المجلس التشريعي الذي يمثل بدوره الرأي العام، ويعتمد في أعضاء المجلس التنفيذي على الإنتخاب ولو عن طريق رئيسه الذي نال الثقة من المجلس التشريعي المنتخب...فيبقى الرأي العام معتمداً ـ ولو بوسائط ـ ويبقى الشعب صاحب الحق المطلق في إختيار حكامه وإتخاذ قراراته.

وأما بالنسبة للأجهزة الإلهية فالإعتماد كله على التعيين فالله هو صاحب الحق الأول والأخير في إختيار قمة وأعضاء الإدارة التنفيذية والإدارة التشريعية، لأنه الوحيد المطلع على مافي أعماق النفوس، وماوراء النوايا فهو الأولى بهذا الحق من غيره أيّاً كان، كما أنه هو صاحب القرارات كلها، لأنه أعرف من سواه بما يمكن أن تفسّر عنه تلك القرارات في الآحاد القريبة والبعيدة، ولعل القرآن أشار إلى أنه لايمكن الإعتماد على إنتخاب البشر،

طالماً هو معرض للخطأ ولو كان الناخب نبيًّاً من أولي العزم في مستوى موسى بن عمران عليه السلام فقال: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾** [1]، **﴿ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكّاً وخرَّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾** [2].

ولعل القرآن ـ كذلك ـ أشار إلى أنه لايمكن الإعتماد على القرار البشري طالما هو معرَّض للخطأ، فقال: **﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** [3].

٤ ـ في الأجهزة البشرية يعتبر الجهاز التشريعي أهم من الجهاز التنفيذي، ولذلك يلزم أن ينتخب مباشرة من قبل الأمة، وأن يكون على إتصال وثيق ودائم بالشعب، في الوقت الذي ينتخب الجهاز التنفيذي من قبل الجهاز التشريعي، أو يكتفي بإكتساب رئيسه ثقة الجهاز التشريعي.

وأما بخصوص الأجهزة الإلهية فالجهاز التنفيذي أهم من الجهاز التشريعي، إذ لامجال للتشريع ـ بمفهومه المعروف من وضع القانون ـ في الأجهزة الإلهية، لأن الله تعالى هو المشرّع الوحيد والمطلق، فتنحصر مهمة

---

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) الأحزاب: ٣٦.

الجهازين في التنفيذ بفارق بسيط، وهو أن الجهاز التنفيذي ينفذ في مجال الكون والجهاز التشريعي ينفذ في مجال الشريعة، وإذا انحصرت مهمة الجهازين في التنفيذ فالظاهر أن مهمة الجهاز التنفيذي أدق وأشمل، من مهمة الجهاز التشريعي الذي لايعدو ـ غالباً ـ بتبليغ الشريعة وحمايتها من المعتدين عليها بمحاولة الدس فيها أو القضاء على حملتها.

كل هذا فيما قد نفهم، ولعل غير ذلك هو الصحيح في الواقع والله العالم.

والملائكة الذين ماكان يروق لهم خلق خليفة في الأرض وقالوا لله: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾**؟ (١)، وأجابهم الله تعالى منبّهاً إلى إحاطته بنواياهم بقوله: **﴿واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾** (٢)، لعلهم كانوا يكتمون التحفظ من أن يغدو خليفة الأرض ولياً عليهم، وقد تتابعت البوادر التي أكدت أن تحفظهم كان يعبّر عن واقع، فقد أمروا بالسجود لآدم فور نفخ الروح في جسمه، ثم استوعب الرموز التي لم يكن بمقدورهم إستيعابها.

وحيث أن الله تعالى جعل للإمام ـ أي إمام معصوم ـ مهمتين: مهمة الولاية التكوينية، ومهمة الولاية التشريعية ـ كأهم ماجعل الله تعالى للإمام ـ فالغيبة عن الظهور في المجتمعات لاتعجزه عن القيام بأية من مهمتيه.

فأما بالنسبة إلى مهمته التكوينية فالإمام الغائب يؤديها في غيبته بتوفر

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

ولعلَّها مهمته الكبرى، فغيبته لاتؤثَّر عليها مطلقاً لأن أداءَها لايتوقف على الظهور بين الناس.

ولعل ماورد في الأحاديث الشريفة من تشبيه فائدة الإمام الغائب بفائدة الشمس الغائبة خلف السحاب إشارة إلى أن الإمام في غيبته يؤدي ولايته التكوينية، كما أن الشمس الغائبة خلف السحاب تؤدي خدمتها في تربية الكائنات الدائرة في محيط شعاعها رغم السحاب الذي قد يحجب عنها بعضاً من تلك الكائنات.

وأما بخصوص مهمته التشريعية فالإمام المنتظر بإعتباره إستمراراً للنبي الأكرمﷺ لا تكون مهمته في التبشير بمفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل حتى يتوقف أدائها على معايشة الناس، وإنَّما تتلخَّص مهمته الكبرى في صيانة المفاهيم التي نزل بها القرآن وبشر بها الرسول الأعظمﷺ.

وأداء مهمة صيانة الشريعة لايتوقَّف على معايشة الناس، لأنه فور مايجد أيَّا من المفاهيم الإسلامية معرَّضاً للتشويه، يستطيع المبادرة إلى إيضاحه وتأصيله بواسطة بعض من يمكنهم الإتصال به.

٢ ـ ولعل هناك سبباً آخر لإنتقال الإمام المنتظر إلى هذا العالم قبل موعد ظهوره بفترة طويلة، وهو إعداده لمهمّات خاصة لم تطرح حتى اليوم على الذهنية البشرية، ونحن ـ في هذه الفترة من عمر البشر ـ لانستطيع إستجلاء تلك المهمات، ولكن قد نستطيع أن نستشف بعض ملامحها من خلال

الأحاديث المبشّرة بالحضارة المنتظرة (كالحديث الذي يقول بأنه يستنفد خيرات الأرض والسماء، وأنه يأتي ببقية العلم مائة حرف ويطيل أعمار الناس ويكمل عقولهم...).

التشكيك في إيجابية فكرة الإمام المهدي عليه السلام:

الظاهرة الخامسة: ظاهرة التشكيك في إيجابية فكرة الإمام المهدي لسببين:

الأول: تكريس اليأس عن جدوى أي عمل إيجابي قبل ظهوره، مادام الله سبحانه وتعالى قدَّر أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً قبل ظهوره.

الثاني: تكريس اليأس عن جدوى أي عمل إيجابي بعد ظهوره، مادام الله عزَّوجل قدَّر أن تملأ ـ به ـ الأرض عدلاً وقسطاً، بغض النظر عن قلة أنصاره وكثرة أعدائه.

وهذان القدران يعلنان تعطيل أدوار الآخرين، وبالتالي يوحيان بتجميد كل الطاقات المؤمنة به، لأن أي عمل إيجابي ـ قبل ظهوره ـ لايعني غير تحدّي القدر الذي يضحك من جميع المتحدين، وأي عمل بعد ظهوره لايعني سوى مجاراة القدر الذي لاتنشطه المجاراة.

والجواب:

أولاً: أن الله إذا قدّر شيئاً لايعني أنه يوجده من الفراغ، بل أبت عادة الله أن يقدّر شيئاً إلا إذا توفَّرت أسبابه، فالقدر لايلغي دور الأسباب، وإنما يعزز

دور الأسباب، والإطلاع على وجود قدر معين ـ عن طريق مصادر الوحي ـ يدفع إلى محاولة إيجاد أسبابه، لأنه يوحي بأن هذه المجادلة لا تواجه معاكسات، وإنَّما تتكامل حتى تصل إلى نتيجة إيجابية، ومعرفة نجاح المحاولة تُشَجِّعْ عليها ولاتثبط عنها أبداً.

ثانياً: إن الإطلاع على أن الأرض ستملأ ظلماً وجوراً قبل ظهور الإمام المنتظر، لايوحي باليأس عن جدوى أي عمل إيجابي بما يلي:

أ ـ إننا لا نعلم ـ بالضبط ـ متى يظهر الإمام المنتظر، فربما يكون ظهوره بعد هذا التاريخ بعشرات أو مئات السنين ـ لاسمح الله ـ.

ب ـ أقصى مايمكن أن يقال: ان معرفتنا بأن الأرض ستملأ قبل ظهور الإمام ظلماً وجوراً توحي بأن الأعمال الإصلاحية لاتنتج على المستوى العالمي، بل يبقى الظلم والجور طاغيين على الوضع العام، وهذا لاينافي في نجاح المحاولات الإصلاحية على المستويات المحلِّية.

ج ـ حتى مع لو علمنا ـ وبكل تأكيد ـ أن المحاولات الإصلاحية لا تثمر على الإطلاق، فهذا العلم لايلغي التكليف، لأن الأعمال الإصلاحية تنعكس على القيمين عليها قبل أن تنعكس أو لاتنعكس على سواهم، فالمفروض عليهم أن يقوموا بها تصعيداً لمستواهم، بالإضافة إلى أن الأعمال الإصلاحية لو لم تنعكس إيجابياً على الناس فإنها تنعكس عليهم سلبياً، فتكون من باب إتمام الحجة، الذي لابد منه لتثبيت المفاهيم، وإفراز العناصر

المموّهة عن بعضها وإعادة كل إلى واقعه، ليحق الحق و﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**﴾ [1].

ثالثاً: ان الإطلاع على أن الله قدَّر أن تملأ ـ به ـ الأرض عدلاً وقسطاً، لايعني أنه وحده ـ وبطريقة معجزية ـ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وإنَّما يعمل ذلك بأنصاره، وإلا لماذا ينتظر أن يتكاملوا ٣١٣ رجلاً.

رابعاً: ان الإعلان المسبق عن نجاح أيّ قائد على المستوى العالمي وانتصاره الساحق في معركة التغيير، أقوى مايرفع معنويات أنصاره فوق المستحيل، ويكرس في نفوسهم أملاً لايتزعزع، ويسهل عليهم التضحية، لأن انتصاره خير ضمان لخلودهم حتى ولو سقطوا في الدرب قبل إنتهاء المسيرة، فلذلك نجد أيّ قائد ينتفض من تحت الأرض يحاول تسكع البراهين المسبّقة لنجاحه وانتصاره حتى يضمن إلتفاف أنصاره حوله في الأزمات، فكيف يمكن أن يكون الإعلان المسبق عن الإنتصار العالمي والنجاح المخيف ـ بالنسبة إلى الإمام المنتظر ـ ظاهرة سلبية تكرس اليأس في نفوس أنصاره والمؤمنين بإمامته؟

خامساً: ان تجربة التاريخ تؤكد إيجابية فكرة الإمام المهدي عليه السلام بشكل مخيف:

ففي الجانب السلبي نجد السلطات المعاصرة لميلاده، والسلطات التي تلت ميلاده حتى اليوم تعمل بأقصى طاقاتها للقضاء على هذه الفكرة، فقديماً

---

(١) الأنفال: ٤٢.

لم تكن التدابير العسكرية التي اتَّخذتها السلطات قبل ميلاده، وعند ميلاده وبعد ميلاده للقضاء على شخصه إلا أدلة قاطعة على مدى صدمتهم بهذه الفكرة، وحديثاً ليس الإرهاب الفكري الذي يحاول تطويق هذه الفكرة إلا شاهداً على مدى مايعانيه أعداء التشيّع من أصل فكرة الإمام المهدي عليه السلام، بعد أن يئسوا من إمكانية القضاء على شخصه.

وفي الجانب الإيجابي نجد أن جميع أجيال الشيعة كانوا ولازالوا يشجعون آمالهم ويهدهدون أحلامهم بفكرة الإمام المهدي عليه السلام، وأظن أنه لولا فكرة الإمام المهدي عليه السلام لما استطاع التشيع أن يخترق ظلمات التاريخ، وإنما كان يختنق بروائح المجازر وغياهب السجون، فليس الزخم الذي يخرج أنقاض التشيع من تحت الكوابيس والمآسي والويلات بفتوة عنفوان أكثر من ذي قبل إلا زخم فكرة الإمام المهدي عليه السلام.

ولا أدلَّ على مدى حيوية هذه الفكرة من أن جميع الحروب والتهريجات التي شنَّت وتشنُّ عليها مازادتها إلّا نشاطاً وصفاءً في أذهان مئات الملايين.

ولاأدلَّ على مدى حيوية هذه الفكرة من الكثيرين في كل الأجيال الإسلامية وفي أكثر البلاد الإسلامية انتحلوا هذه الفكرة ليحرقوا بها المراحل إلى القمة، وماخاب ظن أحد منهم فلم ينتحلها أحد إلا ونال أكثر مما كان يطمح إليه رغم توفر الأدلة على زيف كل من انتحلها حتى اليوم، وهل توجد أكثر إيجابية من فكرة ينجح بها كل من يدعيها ولو كذباً وزوراً؟

وإذا فحصنا التاريخ وجدنا فكرة النبوة أقوى الأفكار قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي ختم النبوة، فقبله كان الكثيرون من طلاب السلطة والشهرة يحاولون الإنتماء إلى النبوَّة بسبب أو نسب، وعن طريق الإدعاء ـ مجرد الإدعاء ـ كانوا ينالون الذي يريدون، وبعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث ختم النبوة أصبح المُتَمهديون يقومون بدور المتنبين، وهذا يكشف أن المهدويَّة ورثت قوة النبوة.

إن فكرة لم ينتم إليها أحد بأي سبب أو نسب إلا وحلق فوق الرؤوس لاتكون فكرة سلبية، ولكن المهرجين ضدها في ضلال مبين.

ظاهرة إنتهاء فكرة الإمام المهدي عليه السلام إلى الإتّكالية:

الظاهرة السادسة: ظاهرة إنتهاء فكرة الإمام المهدي إلى الإتكالية طالما هو يفجّر الثورة الكبرى في اللحظة المناسبة، فكأنَّها توحي إلى الناس جميعاً بأن لاتعملوا أي شيء، فإنني سأعمل كل شيء.

والجواب:

أولاً: ان إعطاء كل شيء حجمه، ووضع الأشياء في أطرها ينتهي بالموضوعية لا بالإتكالية، فإذا قلنا بأن الشمس ستشرق في وقت معين، وتضئ الدنيا، فليس معنى ذلك قتل الشمعة التي أقصى تضحيتها أن تنير دائرة محدودة حولها، فما من رسول من أولي العزم إلا وكانت تسبقه البشائر بظهوره ونجاحه في قيادة عملية التغيير إلى الأفضل، وما كانت هذه البشائر

توحي بالإتكالية إلى أحد، وإنما كانت تعيد الآمال إلى حجم الطاقات التي تتطلق منها حتى لايحاول أكثر مما يستطيع فيزهد فيما يستطيع ويعجز عما لايستطيع ويضيع بين مالا يرضى به وبين مالايقدر عليه.

إن الإعلان عن وجود رئيس الجمهورية ـ مثلاً ـ في مكتبه الأعلى، لايعني إلا إعادة الموظفين إلى دوائرهم المختلفة حسب صلاحياتهم، لا إقالتهم من وظائفهم.

وإن الإعلان عن وجود المصلح الأكبر عن الطريق لايثبط أحد من إصلاح من يستطيع من أهله ومجتمعه وشعبه.

ثانياً: إن كل فرد يدخل حلبة الصراع الإجتماعي الرهيب يشعر بالعجز عن إنجاز مايطمح إليه قبل أن يدخل الحلبة: وهذا الشعور بالعجز ينسف كثيراً من الآمال التي تضيع طريقها إلى النور، فتكريس هذه الآمال في المصلح المنتظر تشجع الآمال المنهارة على قارعة الطريق أن تنهض وتواصل السير فمهما تقلبت الأجواء فلها المطاف الأخير.

فالمقدمة لاتستسلم إذا علمت أن ورائها جيش ساحق، ولكنها تستسلم فور ماتعلم أنها يتيمة لاتعقبها نجدة.

ثالثاً: ان هنالك من لايخوضون الممارسات العنيفة لأسباب مختلفة، ولكنهم إذا سئلوا عن السبب أجابوا بأن الإمام المهدي عليه السلام سيظهر ويصلح العالم، لا لأنهم يرون أن فكرة الإمام المهدي عليه السلام تؤدي بهم إلى الموقف الذي

يقفونه، ولكنهم لايريدون إعلان السبب الواقعي، ويريدون وضع حد لمتابعة السؤال، فبظن البعض أن إيمانهم بالإمام المهدي عليه السلام هو السبب الواقعي لإتخاذ ذلك الموقف.

كما أن المؤمنين بالله إذا سئلوا عن ترك قضية ولم يريدوا كشف السبب الواقعي أجابوا بالتوكل على الله، فيظن الملحدون أن الإيمان بالله يؤدي إلى الإتكالية وترك الأمور على عواهنها، بينما الذين يعرفون موارد إستخدام هذه التعبيرات يدركون أن هذا النوع من الإجابة قد يكون بمثابة رد دبلماسي لسؤال لايريد عنه المسؤول جواباً.

وقد يكون لغير ذلك أيضاً.

وعن فلسفة الغيبة؟

لماذا غاب الإمام المهدي دون أسلافه الأئمة الأطهار عليهم السلام؟

والجواب: ـ إضافة إلى الإلماع الذي سبق منا: ـ

إنّ ذلك يحتاج إلى بيان مقدمة، وهي:

إنّ وجود الحجّة من قبل الله ـ نبياً كان أو وصياً ـ أمر لابد منه لسببين:

١ ـ لما ثبت في علم الكلام من أنه لابد من وجود الحجّة و لولاه لساخت الأرض بأهلها.

٢ ـ لأن الحجة يشكل جبهة الحق، التي لابد أن تقاوم جبهة الباطل حتى تبقى على الأرض طريقان طريق الحق وطريق الباطل، يجد كل إنسان نفسه

أمام خيارين لا خيار واحد كما يقول القرآن الكريم: ﴿**وهديناه النجدين**﴾ [1] ولولا الحجَّة الذي يؤسس جبهة الحق ويقودها لأمكن أن ينحاز الناس إلى الباطل ووجد كل إنسان نفسه ـ مهما أوتي من صفاء الضمير ـ مضطراً إلى السير في طريق الباطل إذ لايجد بديله.

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتبك طريق الحق وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً كما أخبر الرسول نفسه، فلو كان الأئمة يغيبون لتقلَّصت جبهة الحق وسدت طريقه ووجدت الأجيال أنفسها أمام طريق الباطل وحدها فكان على الأئمة أن يظلوا في الناس ظاهرين مهما تعرضوا للتقتيل والتنكيل، حتى يشكلوا جبهة الحق ويستمر الصراع في الحياة بين الجبهتين، ولو غابوا لما بقي من الشيعة عين ولاأثر، لأن الشيعة الذين يشكلون جبهة الحق الأصيلة، لم يكونوا قد اكتملوا كياناً راسخاً يصمد للزعازع، لم يكونوا قد اكتملوا كياناً فكرياً ولاكياناً إجتماعياً فبقي الأئمة واستمروا مواجهتهم من ويلات ونكبات.

أما وبعدما انكسرت سطوات العواصف وانتهى يزيد والمنصور والرشيد والمتوكل من جهة ومن جهة اخرى تماسكت الشيعة كتلة صخرية منتشرة القواعد في أعماق التخوم الإسلامية وفكراً مركزاً كثير المصادر والرواة، بحيث تستطيع الصمود عبر التاريخ حتى ولو غاب إمامهم، لم تكن عندئذ

---

(١) البلد: ١٠.

ضرورة لبقاء الإمام ظاهراً معرضاً لكل الإحتمالات في جميع الأحوال، فغاب الإمام ليظهر في الوقت المناسب يداً تعلو فلا تطال وكلمة تدوي فلا ترد، وبقيت الشيعة فكرة أصيلة وطائفة صلداء.

المعجزة وأبعادها

يلاحظ أن الناس كانوا يطالبون الرسل وسائر الأولياء بالمعجزات وربما طالبوهم بمعجزة معينة، فكانوا يستجيبون لهم ويطلقون المعجزات خاصة إذا عرفوا إخلاص الطلب وبراءة الطالب.

١ ـ فلماذا المعجزة؟

٢ ـ وماهي المعجزة؟

والجواب عن السؤال الأول: أن الأنبياء يدَّعون أنهم على إتصال بالله عزَّوجل، ويكلّمهم الله بشكل من الأشكال التي بينها بقوله: **﴿ماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾** (١).

وربما يدَّعون أكثر من ذلك كالمعراج: **﴿ثم دنا فتدلَّى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** (٢).

وكالعلوم الغريبة: **﴿ياأيها الناس علّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾** (٣).

---

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) سورة النجم ٨ـ٩.

(٣) سورة النمل: ١٦.

والأوصياء بإعتبار أنهم إمتداد للأنبياء بشكل أو بآخر، ويدعون النـاس إلى إتباعهم على هذا الأساس...

والناس جميعاً يعلمون ـ بالفطرة ـ أن الله هو مصدر الكون والحياة..

...عبر هذه كلها كان من الطبيعي أن يطالبهم الناس بإثبات علاقتهم بالله!

ولايمكن إثبات علاقة بشر بالله إلا عن طريق المعجزات التي تـثبت أن لصاحبها علاقة فوقية.

هذا هو الجواب عن السؤال الأول: لماذا المعجزة؟

وأما الجواب عن السؤال الثاني: ماهي المعجزة؟

إن المعجزة ليست تفجيراً في نظام الكون، ولا إستعلاءاً على نظام الكون، ولامفهوماً فوقياً يحجر على العقول، وإنما هي نوع بسيط من التـعامل مـع القوى الفوقية، وهي بالنسبة إلى البشر العادي: خرق للمألوف بغير المألوف.

ومن نافلة القول: أن الحياة المعجزية ليست صرعة خرافية تفوح بالشهرة، وأرضها من ترابة النجوم، وسماؤها تسطع بأقمار المجد الزائف.

وإنما هي حياة واقعية ولكنها أعلى من الحياة العادية بدرجة.

ذلك: أن الكـــون مـــؤلف مـــن مـــجموعات مـــتنوعة مـن الطـاقيات والمادِّيات..وهذه مسلطة على بعضها البعض، ويـلاحظ أن مـاهو ألطـف وأضعف ظاهراً مسلط على ماهو أظهر حجماً وأكثف.

ففي الماديات الحديد مسلط على التراب ومشتقاته من نـبات وحـيوان

والنار مسلطة على الحديد، والماء مسلط على النار، والهواء مسلط على الماء والنور مسلط على الهواء...

وعلى العموم الطاقيات مسلطة على الماديات.

فالروح مسلطة على الجسد، والجاذبية مسلطة على الأجسام الكثيفة في مدى معين، والنسبية العامة مسلطة على الأجرام الضخمة في آماد بعيدة.

هذا كله في مجال المحسوس المألوف.

وإذا استطعنا الخروج عن مجال المحسوس المألوف ـ ولو بأذهاننا ـ تتراءى أمامنا آفاق من الطاقيات التي تتحكم في جميع الماديات والطاقيات المحسوسة.

وتبدو السلطات متدرجة في شكل هرمي قاعدته الواسعة مؤلفة من الماديات..

وفوقها الطاقيات المحسوسة أو المألوفة.

وفوقها الطاقيات غير المحسوسة وغير المألوفة، التي يعبر عنها بالروحانيات ـ حسب المصطلح ـ من الجن، والشيطان، والملائكة، وأرواح الناس..وهي الطاقيات العاقلة المكلفة.

وفوقها الكلمات..

وفوقها الأسماء..

وفوقها..وقمتها الله ـ جل جلاله ـ الذي هو مصدر جميع الماديات

والطاقيات وهو محيط بكل شيء، ومهيمن على كل شيء.

إذن: فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق الذي منه تبتدء الأشياء، وإليه تعود.

ثم الأسماء..وهي القوى العظمى لأن الله خلقها بلا وسائط وهي من قدرته الخاصة به.

ثم الكلمات..وهي قوى كبرى، قد خلقها الله ـ تعالى ـ بواسطة الأسماء..

ثم الروحانيات..التي خلقها الله بواسطة الكلمات.

ثم الماديات التي خلقها الله سبحانه بواسطة بعض الروحانيات وهي: ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾ (١). *

* * *

والبشر العادي لايستطيع تفهم ماهو خارج عن وسطه الذي نشأ وترعرع فيه، فإذا تفوَّق على جواذب هذا الوسط يؤهل لتفهم بعض تلك الآفاق الطاقية، وربما للتعامل مع بعض مخلوقاتها ـ بنسبة تفوقه على مستلزمات وسطه ـ وقد يؤشر إلى هذا التفوّق، وذاك السقوط قوله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا**

---

(١) النازعات/٥.

(*) يلاحظ أن هذه مصطلحات لانكاد نعرف مغزاها، فإنها غالباً أعمق من تفكير البشر، وقدرته المعنوية..

لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه..﴾ [1].

فمن يرتفع عن الوسط العادي الذي تعيشه عامة الناس، ويتعامل مع أدنى طبقة من الطاقيات غير المألوفة يستطيع تحريك جميع الماديات، والطاقيات المتصلة بالماديات بشكل غير مألوف لاتستطيعه سلطات الأرض وثقافة الأرض.

وهذه هي أدنى درجات التفوّق التي يتعاطاها الأولياء العاديون وربَّما المرتاضون أيضاً ـ في حدود خاصة بنسبة التفوق الروحي ـ وهكذا كل من استعلى على شهواته الجسدية ومطامحه الأرضية مدة لاتقل عن أربعين يوماً ـ غالباً ـ.

كطي الأرض..والمشي على الماء..ومخاطبة الروحانيات..والإطلاع على ماوراء الحواجز والمسافات..

وربما: الإشراف على الزمان، والإخبار عما انطوى في ضمير الماضي، أو لايزال جنيناً في أحشاء المستقبل.

ولهذه الدرجة طريقان: الطريق الرَّحماني الذي يؤدي إلى (الكرامة) والطريق الشيطاني الذي ينتهي إلى (السحر) أو (التسخير).

ومن انحدر من سلالة عالية لم تتلوث بجواذب الأرض ومستلزمات الوسط العادي على الإطلاق..

---

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

﴿وتقلُّبك في الساجدين﴾ (١).

«أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجِّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها» (٢).

فمن كان له مثل هذا التراث المقدس الذي يعصمه عن الإنهيار والإنزلاق ـ وهي صفة العصمة ـ ثم يواصل سيره التصاعدي ـ، كما نلاحظ في أربعينات النبي صلى الله عليه وآله في غار حراء، واعتكافات جميع الأولياء.

فإنه يستطيع أن يستوعب طبقات عليا من الطاقيات، وربما يوفق للتعامل معها ـ حسب مستواه ـ فيأتي بما يعجز عنه كثير من الناس حتى أصحاب الكرامات كإحياء الرميم، وفلق البحر، ورد الشمس، وشق القمر..

وهذه هي (المعجزة) التي تختص بأصحاب العصمة من الأنبياء والأوصياء والملائكة ـ على إختلاف درجاتهم ـ الذين يتعاملون مع الكلمات.

التعامل مع الكلمات:

وقد لوَّح القرآن الحكيم بشخصيات من الأنبياء والأوصياء كانوا يتعاملون مع الكلمات.

فمثلاً: يحيى النبي عليه السلام كان يتعامل مع كلمة واحدة: **﴿أنَّ الله يبشرك بيحيى**

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٩.

(٢) من زيارة وارث التي يزار بها الحسين عليه السلام.

مصدقاً بكلمة من الله﴾ [1].

وآدم عليه السلام كان يتعامل مع عدة كلمات:

﴿فَتلقَّى آدمُ من ربه كلمات﴾ [2].

بينما كانت مريم الصديقة عليها السلام تتعامل مع جميع الكلمات: **﴿وصدَّقت بكلمات ربّها﴾** [3].

مع الإحتفاظ بالفواصل البعيدة بين التصديق بالكلمة، وبين تلقي الكلمة، وبين العلم بالكلمة.

ومن هنا تكون الدرجات التي ـ لعل ـ أعلاها العلم بالكلمة.

ولذلك اختلف التعبير القرآني من مورد إلى مورد.

فقال تعالى في شأن الخضر: **﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علما﴾** [4].

والتنوين في (علماً) ليس تنوين التعظيم، فليس بمعنى (علماً جماً) بدليل التنكير في (عبداً) و (رحمة).

وقال سبحانه في خصوص آصف بن برخيا: **﴿قال الذي عنده علمٌ من**

---

(١) آل عمران: ٣٩.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) التحريم: ١٢.

(٤) الكهف: ٦٥.

الكتاب﴾ [1].

بينما قال ـ عزَّ من قائل ـ بالنسبة إلى سيد الأوصياء: **﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾** [2].

ولعل العلم بالكلمة ـ الذي يساوي إتمام الكلمة ـ هو الذي يؤدي إلى الولاية الكونية التي توصَّل إليها إبراهيم الخليل بعد أن مرَّ بتجارب في نفسه وماله وفي ولده: **﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمَّهُنَّ قال إني جاعلك للناس إماماً﴾** [3].

مع العلم بالفاصل البعيد بين العلم بالكلمة، وبين الكلمة ذاتها.

(فالكلمة) لها فاعليتها الخاصة وقد لاتكون لها القدرة على التعامل مع بقية الكلمات لأنها من نوعها ـ حتى لو لم تكن في مستواها ـ.

فيما العالم بالكلمة قد يكون من نوعية أعلى، فيكون في مقدوره التعامل مع مجموعة من الكلمات.

فعيسى بن مريم عليه السلام لم يكن من سنخ الناس، وإنما كان كلمة من كلمات الله أظهرها الله تعالى في هيكل بشري: **﴿إنَّما المسيحُ عيسى بن مريم رسول الله**

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) البقرة: ١٢٤.

وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ [1].

﴿إذ قالت الملائكة يامريم إنَّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ [2].

مع مافي الآية الأولى من الحصر بـ(إنَّما)، وفي الآية الثانية إرجاع ضمير المذكر في (اسمه) إلى (كلمة) بإعتبارها طاقة إيجابية، وكذلك تعريف الكلمة لمريم بأن اسمه (المسيح عيسى بن مريم) كي لاتستغرب أن يكون ابنها كلمة الله.

فكان عيسى بن مريم عليهما السلام كلمة الله، ذات الكلمة، ولذلك كان من أولي العزم، لأن العزم لايمكن أن تنفصل عن الكلمة.

وكان له نشاط معجزي مذهل منذ أن ألقاه إلى مريم، إلى أن رفعه الله، وكانت له مسلكية شخصية مختلفة عن مسلكية سائر البشر(ومع ذلك) لم يكن نشاطه الرسالي في مستوى نشاط سائر أولي العزم من الأنبياء، من نوح وإبراهيم وموسى ومحمد(عليه وعليهم الصلاة والسلام) حيث كانت رسالاتهم تأسيسية، فيما كانت رسالته تصحيحية.

وأما آدم عليه السلام فقد كانت مبادئ نفسه عالية جداً.

يكفي: أنه كان روح الله، أي من القدرة المطلقة مباشرة ـ على ضيق في

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) آل عمران: ٤٥.

التعبير ـ فكان لديه الإستعداد الكافي للتعامل مع جميع الأسماء: ﴿**وَعلَّمَ آدمَ الأسماء كُلَّها**﴾ (١).

ولكنه كان مثقلاً بجسده الذي جمع الله فيه كل خواص الأرض من (سهلها، وحزنها، وطيبها، وسبخها، وعذبها وأجاجها) كما في الحديث الشريف: فابتلى بخلط مطامح الروح بمطامح الجسد: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد لهُ عزماً**﴾ (٢).

ونتيجة لذلك فقد اختلف مستواه من مستوى التعامل مع (الأسماء كلها) إلى مستوى التعامل مع مجموعة معينة من الكلمات: ﴿**فَتلقى آدم من ربه كلمات**﴾ (٣).

(وأما) كبار الرسل، وكبار الملائكة فإنَّهُم يتعاملون مع الأسماء التي هي أعلى طبقات الطاقيات، فيتصرفون بها في جميع الخلائق مما هي دون الأسماء.

وهذه درجة فوق المعجزة، وتختص بأصحاب (العصمة الكبرى) وهم أصحاب الولاية العامة، الذين يأتون بما يعجز عنه أصحاب الكرامات والمعجزات حتى الملائكة والأنبياء والأوصياء.

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) طه: ١١٥.

(٣) البقرة: ٣٧.

وأصحاب (العصمة الكبرى) رغم قلة عددهم يشكلون درجات بل لكل واحد منهم مستوى وصلاحيات خاصة به: **﴿تلك الرُّسُل فضَّلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات﴾** [1].

وسيّدهم وأفضلهم ذلك اليتيم الفقير الذي جاء بما فوق المعجزات، وتحدَّى من سوى الله عزَّ وجل فعجزوا عن الردّ عليه.

﴿و إنْ كُنْتُمْ في ريبٍ مما نَزَّلنا على عَبْدِنا فأتُوا بسورةٍ من مِثْلِهِ وادعُوا شُهَداءَكُمْ من دونِ اللهِ إن كُنْتُمْ صادِقين﴾ [2].

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إنْ كُنْتُم صادقين﴾ [3].

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [4].

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) البقرة: ٢٣.

(٣) يونس: ٣٨.

(٤) هود: ١٣.

موجز تواريخ نواب الإمام المهدي

١ ـ عثمان العَمْري:

اسمه: عثمان بن سعيد العَمْري ـ بفتح العين وسكون الميم ـ .

كنيته: أبو عمرو، إذ رزقه الله ولداً أسماه عمرواً، فقال له الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (لايجتمع على امرء بين عثمان وأبي عمرو) فأمر بكسر كنيته فقيل له العمري.

نسبه: أسدي، وكان يقال له: الأسدي لأنه ينتمي إلى قبيلة بني أسد، قال أبو نصر هبة الله أحمد بن محمد الكاتب: إنه ابن بنت أبي جعفر العمري، فنسب إلى جدّه فقيل له: العمري، ويقال: أنه ينتسب من قبل أمه إلى عمر الأطرف، فقيل له: العمري.

لقبه:

أ ـ العسكري، لأنه كان يسكن مع الإمامين العسكريين عليهما السلام في المنطقة العسكرية بسامراء التي فرض المتوكل العباسي عليهما الإقامة الجبرية فيها.

ب ـ السّمَّان.

ج ـ الزيَّات، لأنه كان يتَّجر في السمن والزيت تغطية على عمله مع

الأئمة عليهم السلام ، فإذا حمل الشيعة إليه مالاً أو كتاباً جعله في جراب السمن وأوصله إلى الإمام.

عمله: بدأ حياته بخدمة الإمام علي الهادي عليه السلام وله إحدى عشرة سنة ، وله إليه عهد معروف ، ومن بعد الإمام الهادي بقي وفيّاً فلزم خدمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبقي على العهد حتى مضى الإمام العسكري ، فعينه الإمام المهدي عليه السلام نائباً عنه.

صفته: كان شيخاً جليلاً ، ويكفي أنه خدم ثلاثة من الأئمة الطاهرين ، وأنهم اختاروه باباً بينهم وبين شيعتهم وأنه أدى الأمانة بدقة وإخلاص وهو ابن إحدى عشرة سنة حتى توفاه الله.

قبره: في الجانب الغربي ببغداد ، وله مقام معروف.

٢ ـ محمد العمري:

اسمه: محمد بن عثمان العمري.

كنيته: أبو جعفر.

نسبه: أسدي.

لقبه: العسكري ، الزيات.

عمله: بدأ عمله منذ صباه في معيشة والده عثمان بن سعيد العمري بخدمة الإمام علي الهادي ، ثم الإمام الحسن العسكري ، ثم الإمام المهدي.

وقد عيّنه الإمام المهدي عليه السلام نائباً عنه بعد موت أبيه، وبقي حوالي نصف قرن النائب الوحيد عن الإمام المنتظر في شؤون الشيعة.

وقد نص على نيابته الإمام الهادي والإمام العسكري والإمام المهدي، كما نص عليه أبوه قبل موته.

وقد ظهرت على يديه من قبل الإمام المهدي معاجز كثيرة، كما صدرت بواسطته تواقيع كثيرة.

وكان شيخاً متواضعاً يعيش في بيت صغير، بلا خدم ولا حجاب.

قيل له: هل رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به، عند بيت الله الحرام وهو يقول: (أنجز لي ماوعدتني).

وقال: رأيته ـ صلوات الله عليه ـ متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: (اللهم انتقم بي من أعدائك).

وقال: إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم مع الناس كل سنة، يرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه.

وروي: أنه حفر لنفسه قبراً، وسواه بالساج، ونقش فيه آيات من القرآن، وأسماء الأئمة على حواشيه، فلما سئل عن ذلك قال: للناس أسباب، وكان في كل يوم ينزل في قبره، ويقرأ جزءاً من القرآن، ثم يصعد، ثم سئل بعد ذلك، فقال: أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد شهرين من ذلك، في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة بعد الهجرة، وقال عند موته: أمرت أن أوصي

إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى إليه.

قبره: في بغداد وله مقام يعرف بـ(الخلاني).

٣ـ الحسين بن روح:

اسمه: الحسين.

كنيته: أبو القاسم بن روح ابن أبي بحر.

لقبه: النوبختي، نسبته إلى نوبخت من عوامل فارس.

عمله: بدأ عمله مع أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ـ النائب الثاني ـ وكان وكيلاً عن أبي جعفر ينظر في أملاكه ويلقى بأسراره وجهاء الشيعة.

وقد نصَّ عليه أبو جعفر قبل وفاته وصدرت على يده تواقيع كثيرة من الناحية المقدسة، فقد روى جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى، قال: أخبرني أبو علي محمد بن همام: أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري جمعنا قبل موته، وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها، فقال لنا: (إن حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعوّلوا ـ في أموركم ـ عليه).

وفي رواية أخرى: لما اشتدت حال أبي جعفر ﷺ، اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه، فقالوا له: إن حدث أمرٌ فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: (هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، القائم مقامي،

والسفير بينكم وبين صاحب الأمر، والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعوَّلوا عليه في مهماتكم، فبذلك أمرتُ وقد بلّغتُ).

وقد كان فاضلاً موثوقاً لايختلف فيه اثنان من الثقات، حتى كان أبو سهل النوبختي يقول في حقه: (لو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ماكشف الذيل).

وقد روى محمد بن إبراهيم بن إسحاق عنه أنه قال: (يامحمد بن إبراهيم، لئن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليَّ من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي).

وكانت مدَّة نيابته إحدى وعشرين سنة.

توفي سنة ٣٢٦هـ.

قبره: له مقام في بغداد يعرف بإسمه في سوق الشورجة.

٤ ـ علي السمري:

اسمه: علي بن محمد السَمَري ـ بفتح السين والميم معاً ـ أو السِيمري، او الصِيمري، والمشهور المعروف هو الأول.

كنيته: أبو الحسن.

ميلاده: لم يصلنا تاريخ ميلاده، ولاذكر المؤرخون فجر حياته، وإنما الذي ورد في كتب الرجال أنه كان من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن بن

علي العسكري عليه السلام ، ثم تولى السفارة المهدوية بعد الشيخ الجليل الحسين ابن روح بإيعاز من الإمام المهدي عليه السلام .

ولم نجد نصاً خاصاً بسفارته وإنما الأدلة عليها أمور.

الأول: إتفاق كلمة الشيعة على ذلك خلفاً بعد سلف منذ أيام سفارته وحتى اليوم، فرابع النوّاب الأربعة هو علي بن محمد السمري بلا خلاف ولامنازع.

الثاني: خروج توقيعات على يده من الناحية المقدسة مما يدل على سفارته.

الثالث: توصية الحسين بن روح به، والحسين بن روح أجل وأرفع من أن يفعل مثل هذا الأمر الخطير المهم بلا أمر عن الإمام المهدي عليه السلام .

الرابع: خروج التوقيع ـ الذي حمل وفاته ـ بإنتهاء الدور للغيبة الصغرى وبدور الغيبة الكبرى، على يده مما يدل على سفارته، وكونه كالثلاثة السابقين سفيراً خاصاً للإمام المهدي عليه السلام .

مدة سفارته: تولى السفارة عن الناحية المقدسة من ٣٢٦ ـ عام وفاة الحسين بن روح ـ إلى ٣٢٩ عام وفاته في النصف من شعبان [1].

وفاته: قبل ستة أيام من موته خرج من الناحية المقدسة توقيع على يده بإنقطاع الغيبة الصغرى، وأن لا يوصي إلى أحد وانه ميت بينه وبين ستة أيام، فلما أن كان اليوم السادس وكان يجود بنفسه قيل له: من وصيك من بعدك

---

(١) غيبة الطوسي قدس سره / ص ٢٤٣.

فقال: (لله أمر هو بالغه) ومات رضوان الله عليه.

قبره: له مزار معروف في بغداد هناك موضع قبره.

وكلاء آخرون للإمام المهدي

ثبت بالأحاديث الشريفة، والنقل التاريخي وجود وكلاء آخرين ـ غير السفراء الأربعة ـ للإمام المهدي عليه السلام، منتشرين في مختلف البلاد الإسلامية التي فيها أناس من شيعة الإمام ويحتاجون إلى وجود قنوات بينهم وبين الإمام عليه السلام.

والفارق بين السفراء الأربعة، وبين الوكلاء الآخرين يمكن تلخيصه في أمرين رئيسيين:

(**أحدهما**): أن السفير يواجه الإمام شخصياً، ويراه مباشرة، ويسلمه الكتب والحوائج والأموال، وغيرها، ويتسلم منه الأجوبة والتعليمات الخاصة والعامة..بينما الوكيل ليس كذلك، بل هو على إتصال بالإمام عليه السلام بواسطة السفير، فالوكيل همزة وصل بين الشيعة وبين السفير غالباً.

(**ثانيهما**): أن مسؤولية السفير في الحفاظ على الدين، وعلى الشيعة عامة لاتخص بلداً، أو قطراً معيناً، بينما الوكيل مسؤوليته محدودة بمنطقته، أو بلده.

والمصلحة الأساسية والظاهرة من تعيين وكلاء آخرين يمكن استنباطها في عدة أمور:

(الأول): الإسهام في تسهيل مهمات السفراء وأعمالهم، إذ من الصعب جداً للشخص الواحد أن يتصل بشرق البلاد وغربها، ويكون المركز الوحيد للأحكام، والحوائج والرسائل والأمانات وغيرها، خاصة في ظروف التكتم، وملاحقة السلطات الظالمة القائمة للسفراء.

(الثاني): تسهيل الأمر على الناس، وأصحاب الرسل والحوائج، وتوسيع الأمر عليهم حتى لايتقيد من في إيران، أو الحجاز، أو غيرهما من الإتصال مباشرة بالسفراء القاطنين في بغداد.

(الثالث): المساهمة في إخفاء السفراء الأربعة، وكتمان أسمائهم وخصوصياتهم لكي لايعرفوا فيؤخذوا برقابهم، ويزج بهم في السجون، أو يقتلون.

ويظهر من نصوص عديدة أن السفراء كانوا مهددين بذلك من سلطات زمانهم.

ونحن نورد هنا أسماء عدد من الوكلاء ـ من غير إستيعاب ـ فلعل بعضهم لم يسجل التاريخ اسمه، ولعل بعضهم كان في غاية الكتمان، ولعل بعضهم لم يصلنا تاريخه.

١ ـ حاجز بن يزيد

الملقب بالوشاء[1].

---

(١) منتهى المقال: ج ١ ص ٢٤١.

روى الكليني بسنده عن محمد بن الحسن الكاتب المحروزي أنه قال: وجهت إلى حاجز الوشاء مائتي دينار وكتبت إلى الغريم (يعني: الإمام المهدي عليه السلام) بذلك فخرج الوصول.

وذكر أنه كان قبلي ألف دينار وأني وجهت إليه مائتي دينار.

فخرج التوقيع: إن أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي بالري.

فورد الخبر بوفاة حاجز ـ رضي الله عنه ـ بعد يومين أو ثلاثة...الحديث[1].

هذا الحديث يستنبط منه عدة أمور بالنسبة لحاجز:

الأول: أن حاجزاً من وكلاء الناحية لتوثيقه من قبلها وخروج الوصول بسببه، وعند الناس لبعث الأموال إليه.

الثاني: تعارف أن يرسل قسم من الناس بعض أموال الناحية المقدسة إلى حاجز.

الثالث: ثبات حاجز على الوكالة إلى آخر عمره، فلم ينحرف كما انحرف بعض الوكلاء.

٢ ـ البلالي

وهو أبو طاهر محمد بن علي بن بلال.

---

(١) الغيبة الطوسية قدس سره: ص ٢٥٧.

عدَّه السيد ابن طاووس﵀ في ربيع الشيعة من الوكلاء الموجودين في الغيبة الصغرى والأبواب المعروفين الذين لايختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي﵇ فيهم[1].

---

(١) جامع الرواة: ج٢ ص١٥٣.

أقول: يتكرر هنا في هذا الفصل ذكر كتاب ربيع الشيعة ونسبته إلى السيد ابن طاووس﵀ لكن في النسبة إشكالاً يظهر مما ذكره المحقق النوري﵀ في المستدرك (ج٣ ص ٤٦٩) كما يلي: عدَّ العلامة المجلسي في أول البحار من كتبه ربيع الشيعة وقال بعد ذلك وكتب السادة الأعلام ابنا طاووس كلها معروفة وتركنا منها كتاب ربيع الشيعة لموافقته لكتاب إعلام الورى في جميع الأبواب والترتيب وهذا مما يقضي منه العجب، وقال العالم الجليل المولى عبد النبي الكاظمي في حاشية كتابه (تكملة الرجال) قد وقفت على إعلام الورى للطبرسي وربيع الشيعة لابن طاووس وتتبعتهما من أولهما إلى آخرهما فوجدتهما واحداً من غير زيادة ولانقصان ولاتقديم ولاتأخير أبداً إلا الخطبة وهو عجيب من ابن طاووس على جلالة قدره عن هذا العمل، ولتعجبي واستغرابي صرت أحتمل إحتمالات فتارة أقول لعل ربيع الشيعة غيره ونحو هذا حتى رأيت المجلسي﵀ في البحار ذكر الكتابين ونسبهما إليهما ثم قال لهما واحد وهو عجيب وقال في حاشية أخرى كنت أنقل عن ربيع الشيعة لابن طاووس وإعلام الورى فرأيتهما من أولهما إلى آخرهما متحدان لاينقصان شيئاً ولايتغيران لاعنواناً ولاترتيباً ولاغير ذلك إلا خطبتهما فأخذ في العجب العجاب وحدست أن لايكونا كتابين واحتملت أن يكون اشتباهاً من الناس تسمية أحدهما ربيع الشيعة فتتبعت كتب الرجال فلم أجد أحداً ذكر اتحادهما حتى وقفت على البحار فوجدت ذكر كتاب ربيع الشيعة أنه هو بعينه إعلام الورى وتعجب هو من إتحادهما(إنتهى).

←

وذكره الصدوق رحمه الله في قائمة الوكلاء في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة).

وفي رجال الكشي: أن الإمام المهدي عليه السلام عبَّر عنه في توقيع رفيع بأنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه [1].

(لكن) مع ذلك كله قد ورد فيه الذم عن الناحية المقدسة (قال) الشيخ الحر في وسائل الشيعة (ج ٢٠ ـ ص ٣٢٥): وعدَّه الشيخ في كتاب الغيبة من المذمومين [وسيأتي في آخر حقل الرسائل نقل تفصيل ذلك]:

(وتوقف العلامة بعد نقل التوثيق والذم (ولايبعد) أن يكون وجه الذم ماتقدم في زرارة ويكون مأموراً بما صدر عنه، أو يكون تغيّر في آخر أمره، على أن مانقل عنه من سبب الذم لاينافي كونه ثقة في الحديث).

ويقصد بما تقدم في زرارة: ماذكره في ص١٩٦ قال: (وروى أحاديث في ذمه [يعني: زرارة] ينبغي حملها على التقيَّة بل يتعين وكذا ماورد في حق

← قلت هذا الكتاب غير مذكور في فهرست كتبه في كتاب إجازاته ولافي كشف المحجة وماعثرت على محل أشار إليه وأحال عليه كما هو دأبه غالباً في مؤلفاته بالنسبة إليها وهذان الجليلان مع عثورهما على الإتحاد واستغرابهما لم يذكرا له وجهاً وقد ذاكرت في ذلك مع شيخنا الأستاذ طاب ثراه فقال وأصاب في حدسه أن الظاهر أن السيد عثر على نسخة من الاعلام لم يكن لها خطبة فأعجبه فكتبه بخطه ولم يعرفه وبعد موته وجدوه في كتبه بخطه ولم يكن لهم علم بإعلام الورى فحسبوا أنه من مؤلفاته فجعلوا له خطبة على طريقة السيد في مؤلفاته ونسبوه إليه ولقد أجاد فيما أفاد.

(١) رجال الكشي: ص ٤٨٥.

أمثاله من أجلّاء الإمامية بعد تحقق المدح من الأئمة عليهم السلام).

٣ـ محمد بن مهزيار

محمد بن إبراهيم بن مهزيار.

عدّه ابن طاووس من الوكلاء والأبواب المعروفين الذين لايختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم [١].

وذكره الصدوق رحمه الله في إكمال الدين في قائمة الوكلاء.

كما ورد التوقيع الرفيع في حقه: «قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله» [٢].

وكان يسكن أهواز.

٤ـ ابن مهزيار

إبراهيم بن مهزيار، أبو محمد السالف الذكر.

ذكره ابن طاووس رحمه الله في ربيع الشيعة من الوكلاء للصاحب عليه السلام [٣].

ويدل عليه التوقيع الرفيع الصادر إلى ابنه: «قد أقمناك مقام أبيك».

فهذا النص يدل على أن الأب أيضاً كان وكيلاً للإمام المهدي عليه السلام.

٥ـ أحمد بن إسحاق

أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري، أبو علي

---

(١) جامع الرواة: ج١ ص٤٤.

(٢) غيبة الطوسي رحمه الله: ص١٧١.

(٣) جامع الرواة: ج١ ص٣٥، ومستدرك الوسائل: ج٣ ص٥٥٠.

القمي، وكان وافداً للقميّين روى عن الجـواد(الهـادي) وكـان مـن خـاصة أصحاب العسكري عليه السلام [1].

قال الشيخ الطوسي قدس سره: «وكان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل ثم قال: مـنهم أحمد بن إسحاق...» [2].

وقد بشَّره الإمام العسكري عليه السلام بولادة الإمام المهدي عليه السلام فيما ورد إليه من الكتاب الخاص به [3].

وفي ربيع الشيعة للسيد بن طاووس أنه من الوكلاء [4].

وقد ذكره الصدوق قدس سره في قائمة الوكلاء أيضاً [5].

٦ ـ محمد بن صالح

محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان، مـن أصـحاب العسكـري وكيل الناحية [6].

---

(١) رجال النجاشي: ص ٧١.

(٢) الغيبة: ص ٢٥٨.

(٣) إكمال الدين: ص ١٨٩.

(٤) جامع الرواة: ج ١ ص ٤٢ ـ ١٣١.

(٥) إكمال الدين.

(٦) جامع الرواة: ج ١ ص ٤٢ ـ ١٣١.

ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في قائمة الوكلاء [1].

وعدّه رجال الكشي: أن توقيع الإمام المهدي عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل يدل على وكالته حيث ورد فيه: «فإذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا» [2].

(لكنه) على آخر عمره [3] أصبح منحرفاً وإنما كان ممدوحاً موثوقاً قبل إنحرافه، ولعله هو المقصود من قول الإمام المهدي عليه السلام في بعض توقيعاته الشريفة: «وقد علمتم ماكان من أمر الدهقان عليه لعنة الله، وخدمته وطول صحبته فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل مافعل فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله» [4].

٧ ـ محمد بن جعفر الأسدي

الأسدي: محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي، الرازي كان أحد الأبواب [5].

وذكره الصدوق رحمه الله في الحديث المروي عنه نفسه أيضاً [6].

---

(١) إكمال الدين.

(٢) عن رجال الكشي: ص ٤٨٥.

(٣) جامع الرواة: ج ١ ص ٤٢ ـ ١٣١.

(٤) جامع الرواة: ج ٢ ص ٤٢٧ ـ ٨٣.

(٥) جامع الرواة: ج ٢ ص ٤٢٧ ـ ٨٣.

(٦) إكمال الدين.

وله كتاب الرد على أهل الإستطاعة [1].

وقد أسلفنا في ذكر حاجز الوشاء نصب الإمام المهدي عليه السلام للأسدي في محل حاجز [2].

وهناك توقيعات متعددة عن الإمام المهدي عليه السلام في تعيين الأسدي هذا.

(منها) ماورواه النجاشي في رجاله عن صالح بن أبي صالح قال: سألني بعض الناس في سنة تسعين ومأتين قبض شئ فامتنعت من ذلك، وكتبت ـ يعني: إلى المهدي عليه السلام ـ استطلع الرأي، فاتاني الجواب: «بالري محمد بن جعفر العربي فليدفع إليه فإنه من ثقاتنا» [3].

(ومنها) ماورواه أيضاً في رجاله عن أبي جعفر محمد بن علي بن نوبخت ـ في ثقة مفصلة وفي آخرها ـ فورد الجواب ـ يعني عن الإمام المهدي عليه السلام ـ: «الأسدي نعم العدليل فإن تدم فلا تختر عليه» [4].

(ومنها) غير ذلك مما هو مذكور في الكتب المفصلة وسيأتي نقل بعضه منا أيضاً في محله.

٨ـ القاسم بن العلاء

---

(١) فهرست الشيخ قدس سره: ص ١٧٩.

(٢) نقلاً عن غيبة الطوسي: ٢٥٧.

(٣) رجال النجاشي: ص ٢٥٧.

(٤) رجال النجاشي: ٢٥٧.

القاسم بن العلاء: من أهل أذربيجان.

ذكره الصدوق قدس سره في قائمة الوكلاء [1].

وقال ابن طاووس أنه من وكلاء الناحية، يكنّى بأبي محمد [2].

عمّر مأة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين، ولقي الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وكانت توقيعات مولانا صاحب الزمان عليه السلام لا تنقطع عنه على يد أبي جعفر بن عثمان العمري، وبعده على يد أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحهما [3].

ونقل الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة، والراوندي في الخرائج، حديثاً مطوّلاً يدل على جلالة قدره من أجل أمور عديدة:

(منها) أن الإمام المهدي عليه السلام أرسل إليه قبل موته سبعة ثياب لتكفينه وأخبره أنه يموت بعد أربعين يوماً من وصول ثياب الكفن إليه، فمات في اليوم المذكور، وإذا لاحظنا أن الإمام المهدي عليه السلام كان قد بعث إلى عديد من الوكلاء والمتقين بالكفن عند موتهم، لكنه كان غالباً مقتصراً على ثوب واحد أو ثوبين أو ثلاثة فقط.

من هذه الملاحظة يظهر التقدير الكبير للقاسم بن العلاء إذ بعث الإمام عليه السلام

---

(١) إكمال الدين.

(٢) جامع الرواة: ج٢ ص١٩.

(٣) غيبة الشيخ: ص١٨٨ وبعدها.

إليه سبعة ثياب للكفن.

(ومنها) أنه أوصى عند موته بحرمان أهله مما أوقفه على الناحية المقدسة إذا لم يكن من المتقين، وجواز الأكل من الموقوفة إذا كان من أهل التقوى، وهذا بنفسه يدل على تفاني القاسم بن العلا في الله.

(ومنها) صدور التوقيع من الإمام المهدي عليه السلام بتعزية ابنه في موته، وقد جاء فيه هذا النص (قد جعلنا أباك إماماً لك وفعاله لك مثالاً).

(ومنها) غير ذلك مما يجده الناقب من خلال الحديث المطول.

٩ ـ الحسن بن القاسم بن العلا

الحسن بن القاسم بن العلا: قد يستفاد من النص الآنف كونه من وكلاء الناحية المقدسة، وذلك من أجل كلمة (جعلنا) وأبعادها، وإن كنت لم أر من ذكره من الوكلاء، وهذا لايكون دليلاً على العدم إذ لاشك أن فقهاءَنا الماضين ومحدثينا السابقين لم يكونوا بصدد الإستيعاب في هذا المجال والله هو العالم.

١٠ ـ محمد بن شاذان

محمد بن شاذان: بن نعيم النعيمي النّيسابوري:

ذكره الشيخ الصدوق عليه السلام في قائمة الوكلاء التي ذكر فيها أسماء اثني عشر شخصاً بما فيهم اثنان من السفراء الأربعة وهما عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان.

وقد عدّه ابن طاووس من وكلاء الناحية ـ وممن وقف على معجزات صاحب الزمان ورآه عليه السلام ـ في ربيع الشيعة [1].

١١ ـ العطار

العطار: ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في الوكلاء، ولم نجد من ذكره غيره بهذا اللقب، وحيث أن العطار لقب جماعة منهم:

محمد بن يحيى العطار، وابنه أحمد بن محمد بن يحيى، ويحيى بن المثنى العطار، والحسن بن زياد العطار، وعلي بن محمد بن عمر العطّار، ومحمد بن عبد الحميد العطَّار، ومحمد بن أحمد بن جعفر القمي العطَّار، وداود بن يزيد العطار، وغيرهم.

لانستطيع الجزم بأن من ذكره الصدوق رحمه الله أي واحد من هؤلاء، أو من غيرهم؟ إلا أن غاية مايدل عليه كلام الصدوق رحمه الله وجود وكيل للناحية المقدسة بلقب (العطار).

١٢ ـ العاصمي

العاصمي: ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في قائمة الوكلاء، ولم نجد أيضاً ذكره بالوكالة من شخص آخر، وهو لقب لشخصين فيما نعلم:

(أحدهما) أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة بن عاصم أبو عبد الله، وهو ابن أخي علي بن عاصم المحدث، ويقال له العاصمي ثقة في الحديث، أصله

---

(١) جامع الرواة: ج٢ ص ١٣٠.

من الكوفة وسكن بغداد وروى عن الشيوخ الكوفيين [1].

و(ثانيهما): عيسى بن جعفر بن عاصم، وقد دعا له أبو الحسن الإمام علي ابن محمد الهادي عليه السلام [2].

ولكن كليهما لم يوسم بالوكالة والسفارة (نعم) يدل كلام الصدوق رحمه الله على أن شخصاً ملقباً بالعاصمي وكيل للناحية المقدسة ولكنه من هو؟

هل احد هذين أم غيرهما فالله أعلم.

١٣ ـ أبو عبد الله البزوفري

أبو عبد الله البزوفري: الحسين بن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان.

روى الشيخ في الغيبة: عن بعض العلويين قال: كنت بمدينة (قم) فجرى بين إخواننا كلام في أمر رجل أنكر ولده، فأنفذوا إلى الشيخ [3] صانه الله وكنت حاضراً عنده أيده الله فدفع إليه الكتاب فلم يقرأه وأمره أن يذهب إلى أبي عبد الله البزوفري ـ أعزه الله ـ ليجيب عن الكتاب، فصار إليه وانا حاضر، فقال له أبو عبد الله: الولد ولده، وواقعها في يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فقال له: فيجعل اسمه محمداً، فرجع الرسول إلى البلد وعرفهم،

---

(١) جامع الرواة: ج ١ ص ٦١.

(٢) جامع الرواة: ج ١ ص ٦١.

(٣) هو السفير الثاني أو الثالث على الظاهر.

ووضح عندهم القول، وولد الولد وسمي محمداً[1].

ولايخلو هذا الحديث من دلالة عرفية على أن البزوفري استقى هذه المعلومات عن الإمام المهدي عليه السلام مباشرة، أو بواسطة بعض السفراء.

ولذا قال العلامة المجلسي قدس سره وهو يعلق على هذا الحديث: «يظهر منه أن البزوفري كان من السفراء، ولم ينقل».

وقال النجاشي في رجاله، والعلامة في الخلاصة: «شيخ ثقة جليل القدر من أصحابنا».

١٤ ـ إبراهيم بن محمد الهمداني

إبراهيم بن محمد الهمداني: وكيل الناحية كان حجَّ أربعين حجَّة[2].

كان عاصر الرضا، والجواد، والهادي، والعسكري عليهم السلام، وله وكالة عن الإمام الجواد وجاء في بعض رسائل الجواد عليه السلام إليه: «وكتبت إلى مواليَّ بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك وأن لاوكيل لي سواك»[3].

لم يذكر اسمه في قائمة الوكلاء، إلّا أنه ذكر ورود توقيع الإمام المهدي عليه السلام مبتدءاً من دون سبق سؤال بتوثيقه[4] وهو إذ ذاك من شيوخ الشيعة وكبارهم

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي قدس سره: ص١٨٧.

(٢) جامع الرواة: ج١ ص٣٣.

(٣) عن رجال الكشي: ص٥٠٨.

(٤) الغيبة: ص٢٥٨.

ومبرزيهم الذين لهم قدم في مدح عدد من الأئمة المعصومين عليهم السلام إياهم.

وهذا التوقيع إستفاد البعض منه وكالة الرجل وليس ببعيد والله العالم.

وقال النجاشي: أنه وكيل الناحية [1] لكن الكلام في ظهور هذه الكلمة في الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام بالخصوص، أو الأعم منها ومن الوكالة عن بعض آبائه عليهم السلام.

١٥ ـ أحمد بن اليسع بن عبد الله القمي

أحمد بن اليسع بن عبد الله القمي: قال في الوسائل: والظاهر أنه ابن حمزة ابن اليسع [2].

وعليه بنى جامع الرواة: إذ لم يذكر سوى أحمد بن حمزة.

وقد ورد توقيع ربما يدل على وكالته، بل استظهر البعض وكالته منه.

(والتوقيع هو) ماعدّه أبي محمد الرازي قال: كنت أنا وأحمد بن أبي عبد الله بالعسكر (أي: سامراء) فورد علينا رسول من الرجل (وقد يستظهر كونه كناية عن الإمام المهدي عليه السلام) فقال لنا: «الغائب العليل ثقة، وأيوب بن نوح، وإبراهيم بن محمد الهمداني، وأحمد بن حمزة، وأحمد بن إسحاق ثقاة» [3].

---

(١) ترجم له في (خلاصة الرجال) ص٩، والوسائل: ج٢٠ ص١٢٢، ومستدرك الوسائل: ج٣ ص٥٥٠.

(٢) الوسائل: ج٢٠ ص١٣٣.

(٣) جامع الرواة: ج١ ص٤١.

ويستظهر ذلك من عبارة الشيخ الطوسي قدس سره أيضاً حيث قال في كتاب الغيبة: «قد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات يرد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل، ثم قال: «ومنهم أحمد بن إسحاق وجماعته يخرج التوقيع في حقهم» [1].

ولعل الشيخ الطوسي يشير بذلك إلى هذا التوقيع الشريف الآنف المتضمن لذكر أحمد بن حمزة أيضاً.

١٦ ـ أيوب بن نوح

أيوب بن نوح، من أصحاب الهادي والعسكري عليهما السلام، ومن وكلائهما، عظيم المنزلة، ثقة [2]، وقد شهد له الإمام العسكري بالجنة [3].

إلا أنه لم يذكر في وكلاء الإمام المهدي عليه السلام، لكنه قد استظهر بعضهم وكالته من التوقيع الرفيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام الذي يرويه أبو محمد الرازي وقد نقلناه آنفاً عند ذكر (أحمد بن اليسع) فراجعه.

١٧ ـ الجعفري

الجعفري: أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي

---

(١) جامع الرواة: ج ١ ص ٤٢، ترجم له رجال النجاشي: ص ٦٦، وخلاصة الرجال: ص ٨، والغيبة: ص ٢٥٨.

(٢) الوسائل: ج ٢٠ ص ١٤٥.

(٣) الغيبة: ص ٢١٢، ترجم له أيضاً رجال النجاشي: ص ٧٤، والفهرست للطوسي: ص ٤٠، وخلاصة الرجال: ص ٧.

طالب.

ذكره السيد بن طاووس قدس سره في ربيع الشيعة وقال: «إنَّهُ من السفراء والأبواب المعروفين الذين لاتختلف الشيعة القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم»[1].

كما ذكره في قائمة الوكلاء الشيخ علي الحائري أيضاً في إلزام الناصب[2] ولم أجد غيرهما من يذكر وكالته عن الناحية المقدسة.

نعم قال عنه صاحب الوسائل: «من أهل بغداد، ثقة، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، شهد أبا جعفر، وأبا الحسن وأبا محمد عليهم السلام وكان شريفاً عندهم، وذكر أنه شاهد الرضا عليه السلام أيضاً»[3].

وفي الفهرست أنه شاهد الرضا، والجواد، والهادي، والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام، وقد روى عنهم كلهم[4].

وقد ترجم له كل كتب الرجال بتفصيل فراجعها[5].

١٨ ـ الرازي

---

(١) جامع الرواة: ج١ ص٣٠٧.

(٢) إلزام الناصب: ج١ ص٤٢٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٩٠.

(٤) جامع الرواة: ج١ ص٣٠٧.

(٥) رجال النجاشي: ص١١٣، ومعالم العلماء: ص٤١، وخلاصة الرجال: ص٣٤، ورجال الشيخ الطوسي قدس سره: ص٤١٤.

الرازي: أحمد بن إسحاق، يحتمل كونه من الوكلاء، قال الأردبيلي في جامع الرواة:

«من أصحاب الهادي عليه السلام ثقة [صه . جخ]».

أورد الكشي مايدل على إختصاصه بالجهة المقدسة [صه] [1] في (كش) حكى بعض ثقاة نيسابور أنه خرج لإسحاق بن إسماعيل بن أبي محمد عليه السلام [2] توقيع: «ياإسحاق بن إسماعيل إلى أن قال: فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم وليحمل ذلك إبراهيم من عنده إلى الرازي رضي الله عنه أو إلى من يحمله الرازي قال ذلك عن أمري ورأيي إن شاء الله، ثم قال: وقد يحتمل الإتحاد» [3]، فيكون هذا هو أحمد بن إسحاق الذي ذكرناه برقم (٥).

١٩ ـ أبو جعفر

أبو جعفر: محمد بن أحمد.

لم أجد توصيفه بأكثر من ذلك، كما لم أجد ذكره من وكلاء الناحية المقدسة، إلا أن الذي يظهر من الرواية التالية والتوقيع الرفيع كونه من الوكلاء.

---

(١) الجهة المقدسة قد تكون كناية عن ناحية صاحب الأمر عليه السلام.

(٢) فيكون المقصود بـ(أبي محمد) الإمام الرضا عليه السلام، وإلا لو كان المراد به الإمام الحسن العسكري فهو غير صحيح إذ لا أخ لصاحب الأمر عليه السلام.

(٣) جامع الرواة: ج ١ ص ٤١.

أخرج العلامة المجلسي عن القطب الراوندي في الخرايج قال: روي عن أحمد بن أبي روح قال خرجت إلى بغداد في مال لأبي الحسن الخضر بن محمد لأوصله وأمرني أن أدفعه إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري(ثاني النواب الأربعة) فأمرني أن لا أدفعه إلى غيره وأمرني أن أسأل الدعاء للعلة التي هو فيها وأسأله عن الوبر يحل لبسه؟

فدخلت بغداد، وصرت إلى العمري فأبى أن يأخذ المال وقال: صر إلى أبي جعفر محمد بن أحمد وادفع إليه فإنه أمره بأن يأخذه، وقد خرج الذي طلبت.

فجئت إلى أبي جعفر فأوصلته إليه فأخرج إلي رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، سألت الدعاء عن العلَّة التي تجدها...إلى آخره [1].

وقد يكون من البيّن الظاهر: أن من يأخذ أموال الناحية المقدسة، ويحوّل النائب العمري إليه، ويعطي رقعة الناحية لابد أن يكون وكيلاً لامتصلاً ولكن كسائر الوكلاء بواسطة النواب الأربعة.

غير أن الحديث هو في أنه من هو بالتعيين؟ هذا مايحتاج إلى فحص ودقة أكثر، وقد ترجم جامع الرواة لعدة أشخاص يمكن كون الرجل أحدهم بهذا الإسم وهذه الكنية وفي ذاك الزمان [2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣ ص١٩٧.

(٢) جامع الرواة: ج٢ ص٥٨ ـ ٦٣.

وهناك أسماء أخرى ذكرها بعضهم في قائمة الوكلاء للناحية المقدسة لم نجد مجالاً للتتبع والتحقيق فيهم واحداً واحداً، نذكرهم لعل من يتتبع كثيراً فيجد أدلة وشواهد أخرى على وكالتهم.

وهم كالآتي:

١ - إبراهيم بن محمد.

٢ ـ الحسن بن محبوب.

٣ ـ عمرو الأهوازي.

٤ ـ أبو محمد الوجناتي.

ذكرهم الشيخ علي الحائري اليزدي في كتاب (إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام) قال: «وقد كان في زمان السفراء (رضوان الله عليهم) أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة»[1]، وذكر أسماء عديدة منهم هؤلاء الأربعة.

أما إبراهيم بن محمد فهو مشترك بين متعددين ولم نعرف المقصود به أيهم ولعله الهمداني الذي ذكرناه برقم (١٤).

وأما الحسن بن محبوب فهو من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام ومات سنة (٢٢٤) أي: قبل ولادة صاحب الأمر عليه السلام باثنتين وثلاثين سنة، فكيف يمكن عده من وكلائه عليه السلام؟

---

(١) إلزام الناصب: ج ١ ص ٤٢٧.

ولعلّه مصحّف محمد بن علي بن محبوب.

وأما عمرو الأهوازي، فلم أجد من ذكر له الوكالة من الناحية المقدسة، غير صاحب إلزام الناصب.

نعم، ذكر جامع الرواة أنه ممن أراه أبو محمد العسكري صاحبَ الأمر عليه السلام [1]، ولعل صاحب إلزام الناصب وجد له مدركاً والله أعلم.

وأما أبو محمد الوجناتي فلم أجده في كتب الرجال (في هذه العجالة) بهذه الكنية ولاذاك اللَّقب، وأبو محمد في كتب الرجال كثير يعدون بالعشرات، فلم نعلم أنه أيهم، والله أعلم.

---

(١) جامع الرواة: ج١ ص٦١٨.

منزلة الإمام المهدي عليه السلام في القرآن[1]

﴿وَنُريدُ أَنْ نَمُنَّ على الذينَ استُضعِفُوا في الأرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارثين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ في الأرض وَنُري فِرعَونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ مَاكانُوا يَحذرُون﴾[2].

هذه الآية من الآيات التي أُوِّلت برجعة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، التي تبدأ بظهور الإمام المنتظر وإن كانت في سياق الآيات الواردة في بني إسرائيل.

ودليل هذا التأويل:

١ ـ إن هذه الآية لم ترد في القرآن بصيغة نقل إرادة سابقة، فلم ترد: (وقلنا لبني إسرائيل: نريد ان نمنَّ...) وإنَّما أوردت: (الإرادة الفعلية) في القرآن، الذي نزل بعد غياب بني إسرائيل عن المسرح الديني، بنسخ شريعتهم مرتين، فقد نسخت شريعتهم مرة بشريعة المسيح عليه السلام ونسخت مرة اخرى

---

(١) كان الإمام الشهيد الشيرازي المؤلف رحمه الله أراد في هذا الفصل أن يسجل العشرات من آيات القرآن المفسرة والمأوَّلة (بالإمام المهدي) عليه الصلاة والسلام، ويعطي كل واحدة منها شيئاً موجزاً من التحليل والتوضيح، لكنَّه ـ كما يبدو ـ لم يكن بعد قد سجل سوى مورداً واحداً من القرآن الحكيم حتى أسرعت إليه الأيدي الظالمة تصرع شهيداً في سبيل الإسلام... رضوان الله عليه.

(٢) القصص: ٥ ـ ٦.

بالإسلام.

فهذه (الإرادة) الإلهية التي ترويها (ونريد) إرادة قائمة لم تكن قد نُـفِّذَت حين نزول القرآن.

٢ ـ إن بني إسرائيل، لم يتمكنوا في الأرض عبر أئمة مطلقاً، وإذا صحَّ أن سليمان بن داود حكم الأرض كلها، وافترضناه (إماماً) فذلك إمـام واحـد، وهذه الإرادة لمجموعة أئمة، لهم حكومة عالمية هم جماعة مـن الحكـام، وليس حاكماً واحداً عبَّر الله عنه وعن أعوانه بـصيغة الجـمع بـدليل كـلمة (الأئمة) ومن الثابت أن رتبة (الإمامة) وهي الولاية المـطلقة، لاتكـون إلّا لرجل واحد في عهده، فلا تكون لعدَّة رجال في وقت واحد، وإنما يتوارثون هذه الرتبة بالتعاقب.

٣ ـ ووصف أولئك (الأئمة) بـ(الذين استضعفوا في الأرض) يدل على أنهم قادمون إلى الأرض مرتين، قدموا إليها مرة فاستضعفوا، ويقدمون إليها مرة اخرى فيمكنهم الله في الأرض، إذ لا يمكن أن تكون مجموعة مـن النـاس مستضعفين في الأرض، ثم يـمكنهم الله فـيها فـيحكموها ويكـونوا أئـمة بالتعاقب مع العلم بأن الإمام لايستضعف إمـاماً آخـر ـ لإشـتراط العـصمة فيهما ـ حتى نقول بأن كل واحد منهم كان مستضعفاً في حين وحاكماً فـي حين آخر.

٤ ـ إن كل الأفعال التي استخدمت في هذه الآية مستقبلية (نريد.. نمنَّ..

نجعلهم.. ونَجعلهم.. نمكِّن.. نري) فهذه الأفعال الستة المستقبلية لاتـزال قيد التنفيذ، فتنحصر محتوى هذه الآية في أمة النبي ﷺ.

٥ ـ إن (الإرادة) التي تعلنها هذه الآية لمجموعة (أئمة) يحكمون الأرض، وإذا عرفنا أن النبي ﷺ حصر الأئمة من بعده في إثني عشر إماماً عـددهم عدد نقباء بني إسرائيل كما في أحاديث متواتـرة، مـن جـملتها قـوله ﷺ: «الأئمة بعدي إثنا عشر كلهم من قريش».

وإذا عرفنا أن أيّاً من الأئمة الإثني عشر لم يتمكن فـي الأرض سـابقاً، نعرف أن تلك (الإرادة) لم تتحقق بعد، وإنما ستحقق لهم أنفسهم فـي وقت لاحق.

٦ ـ إن إستخدام كلمة (الوارثين) يشير إلى أن أولئك الذيـن بشَّـرهم الله تعالى ـ في هذه الآية ـ بحكومة عالمية يأتون فـي آخـر الزمـان، فـيرثون الأرض من جميع الذين حكموها قبلهم، ولو كانوا حلقة في سلسلة حكام الأرض لما عبّر القرآن عنهم بـ(الوارثون)، كما لم يعبّر عن سليمان وصحبه، ولا عن يوسف وأعوانه بالوارثين، فلاينطبق هذا التعبير إلّا عـلى جـماعة يكون لهم المطاف الأخير في حكومة الأرض.

٧ ـ ان التمكين في الأرض لم يتحقق لأي إنسان منذ نـزول هـذه الآيـة فكيف بتحققه لمجموعة أشخاص، وإذا ظهر في المسلمين حاكم واحد أو مجموعة حكام ـ وافترضناهم أئمة ـ فإن أيًّا منهم لم يتمكن في الأرض كلها،

وإنما تمكن في بعض الأرض، وهذه الآية تدل على أن إرادة الله سبقت لتمكين مجموعة من الأئمة في الأرض كلها.

يضاف إلى ذلك أن من نعرفهم من حكام المسلمين لم يكونوا ـ جميعاً ـ مستضعفين في حين وحكاماً في حين آخر، وإذا كان رأس كل سلسلة من الخلفاء مستضعفاً في حين، فإن بقية خلفاء أسرته ولدوا في بيوت الخلافة، فلم يستضعفوا في أي حين.

إذن، فهذه الآية بمجموع بنودها لايمكن أن تنطبق بدقة إلا على (الأئمة الإثني عشر) إذا عادوا إلى الحياة في آخر الزمان وحكموا الأرض في المطاف الأخير من عمر البشر.

وهنا قد ينبض سؤال يقول: إن قول الله تعالى في بقية الآية: ﴿**ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون**﴾ وفرعون وهامان كانا معاصرين لموسى بن عمران فكيف يمكن صرف دلالة الآية عن موسى وبني إسرائيل.

وتتوارد الأجوبة:

١ ـ ان فرعون تطاول على مقام الربوبية بشكل لم يتطاول عليه أحد، فلم يكتف بالكفر بالله وجحوده، ولم يكتف بإدِّعاء أنه أحد الآلهة ـ كما فعل نمرود ـ وإنَّما ادَّعى أنه الربّ الأعلى وعمل برجاً ليطلع إلى إله موسى فيقتله إذا كان موجوداً ـ بزعمه ـ فلما عجز عن أن يرفع البرج إلى السماء حلَّق في الجو على سفينة فضائية يرفعها العقبان وأطلق سهماً في إتجاه السماء مدَّعِياً

أنه قتل إله السماء..إلى آخر ماهو موجود في كتب السنَّة..ثم طالت فترة حكومته أكثر من المتوقع ولم يعجّل الله عليه، حتى نشر جنوده في كثير من البلاد يعيثون فيها الفساد، بقي إسمه رمزاً أكبر للطواغيت، وحيث كان هامان وزيره وعقله المفكر بقي اسمه مقروناً باسمه، ولم تذهب من ذاكرة الناس أشباح جنودهما الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

فإذا ذكر فرعون وهامان وجنودهما، ذكروا كرموز للطغيان، لا كأشخاص، والظاهر أنهم ذكروا في هذه الآية كرموز فقط.

٢ ـ لايصح أن يكون المقصود **﴿الذين إستضعفوا في الأرض﴾** موسى بن عمران وقومه، لأن رأسهم وهو موسى بن عمران لم يتمكن في الأرض، حتى بعد غرق فرعون، بل مات في التيه، خاصة وفي بقية الآية، **﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون﴾** وكأن الآية توحي بأن فرعون وهامان وجنودهما يكونون موجودين حين يتمكَّن الذين استضعفوا في الأرض، ثم يرون منهم ماكانوا يحذرون ـ على نحو الترتيب ـ.

وقد يستأذن سؤال آخر يقول: إن المستضعفين في الأرض عنوان ذَمّه القرآن في بعض آياته ـ فمثلاً ـ قال: **﴿إنّ الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾** [1]، فكيف أصبح المستضعفون في هذه الآية عنواناً بلغت الإرادة الإلهية لمنحهم رتبة الإمامة وجعلهم حكاماً عالميين؟

---

(١) النساء: ٩٧.

ويندفع جواب يقول: يمكن تصنيف المستضعفين الذين أطّرهم القرآن ثلاثة أقسام:

١ ـ المستضعفون الضعفاء، كالعجزة والقاصرين الذين لايجدون في أتفسهم مادة الكفاح ضد المعتدين، ولايطيقون تأمين أنفسهم ضد الحاجة فوجدهم الطغاة مادة يمكن إمتصاص بقية الحياة منها ولو للديكور في الأروقة وعلى الأبواب، وهؤلاء ـ يمثلون قدسية الحياة ولو في أضعف مظاهرها ـ أمر الله بالدفاع عنهم إلى جانب الدفاع عن المقدسات، فقال: **﴿ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾** [1]، وقوله تعالى في آية أخرى: **﴿...إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً﴾** [2].

٢ ـ المستضعفون الأقوياء الذين يملكون طاقات كفاحية عالية، ومواهب قادرة على تصنيفهم عباقرة وعظماء، ولكنهم أهملوا أنفسهم وقنعوا بالتوافه والحقائر، فاستساغهم الأقوياء قاعدة يشيدون عليها مجد الطغيان ولأنهم (كذلك) رضوا بأن يدفعوا ضريبة الذل على أن يخوضوا الحياة بشجاعة المعترفين بواقع الحياة، ويستعرض القرآن مثلاً من هذا الصنف، من وجد نفسه في بلده تحت سلطة عاتية، فرضي بها على أن يهاجر منه إلى بلد

---

(١) النساء: ٧٥.

(٢) النساء: ٩٨.

تتجاوب فيه نسائم الحرية والعدالة، ثم يصنِّفهم القرآن ظالمين ولكن لأنفسهم، ويعتبرهم مجرمين بين يدي ملائكة العذاب التي تتولاهم منذ لحظة الوفاة، فيقول: ﴿**إن الذين توفَّاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**﴾ (١).

٣ ـ المستضعفون الأقوياء الذين يملكون طاقات كفاحية مخيفة، ومواهب جبارة، واستنفدوا كل طاقاتهم ومواهبهم، ولكن التيارات القاهرة تناصرت عليهم، فأصبحوا مقهورين، مثل كل الأنبياء، مثل كل العظماء، والقرآن يقف من هؤلاء موقفاً إيجابياً يظهر في ترصيد جميع العواطف والأفكار الخيِّرة حولهم، وفي تبشيرهم بالفوز في المطاف الأخير، لأن القوي الذي لايوفر شيئاً من إمكاناته لابد أن يفوز فور ماتهدأ العاصفة ويتضح الأفق، فيقول: ﴿**ونريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض**﴾ (٢).

---

(١) النساء: ٩٧.

(٢) القصص: ٥.

أسئلة وأجوبتها

١ ـ ان الإمام المهدي عليه السلام عندما يظهر لايغيّر طبائع الناس ولايصفّي نوازع الشر في النفوس، وإلا لبطلت تجربة الحياة، كما أن الأنبياء والأوصياء قبله لم يفعلوا ذلك، والدليل على ذلك أن يهودية تقتل الإمام المهدي عليه السلام وتظهر عينات الشر بعده بكثرة، ثم يكون إجماع العرب والعجم على قتل الحسين في الرجعة وظاهر تلك اليهودية وإستمرار الصراع بين الخير والشر من خلال عينات عديدة تكشف بقاء التركيبة النفسية للبشر كما هي الآن.

سؤال: إذن كيف يطهّر الأرض من الذنوب؟

جواب: قال بعض: ليس في الأحاديث أن الإمام المهدي عليه السلام يطهّر الأرض من الذنوب، كلما هنالك أنه (يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً) فهو يقضي على التجاوزات لا على الإنحرافات العقيدية والمسلكية، التي تدور بين الفرد وربه، فلا يبقى ظالم ومظلوم، ولكن قد يبقى الكافر والعاصي في نطاق الأفراد أي لاتبقى راية غير راية الإسلام، أما الفرد الكافر أو الفرد العاصي فلا يلغى من الأرض.

سؤال: إذا كان البشر هذا البشر فكيف يقضي على التجاوزات؟

جواب: ١ ـ انه يطهّر النظام وإذا طهّر النظام أصبح الجوّ صالحاً يربي

الصالحين ويقضي على المتجاوزين، وخاصة عندما يسود العالم نظام واحد لايداهن النظام خوفاً من الأنظمة المجاورة، ويشعر الناس بأنه لاملجأ لهم غيره فتنتهي التجاوزات والإنحرافات العقيدية المعلنة، وتبقى الإنحرافات الفردية أي يبقى أفراد غير مؤمنين أو غير ملتزمين.

٢ ـ ان الإمام المهدي بمقتضى إحاطته الشخصية بالناس كلهم وبمقتضى حكمه بالواقع لا بالظاهر يطارد المتجاوزين ـ إلى جانب نظام حكمه ـ ومع تكرر التجارب وتكاثر الواقع يشعر كل فرد بأنه لايتجاوز إلا ويلاحقه الإمام نفسه، وان أي فرد مهما أوتي من ذكاء وقدرة على تحرير تجاوزاته على النظام المؤلف من الناس العاديين، فإنه لايستطيع تحرير أدنى تجاوز على الإمام الذي هو مصدر السلطات، فيكفّ الناس عن التجاوز، وإذا كانت طينة أحدهم لاتساعد إلا على التجاوز، فسرعان مايستأصل ليكون عبرة لغيره.

سؤال: كيف يهيمن الإمام شخصياً على من في المغرب والمشرق من مقره بالكوفة وهو لايعدو كونه وصياً من أوصياء خاتم النبيين لانبياً ولاملكاً، وحتى الأنبياء لم يهيمنوا مثله، فكيف به وهو وصي نبي لا أكثر؟

جواب: لابد من الإعتراف بحكومة الطاقة على المادة أي المادة اللطيفة مسيطرة على المادة الكثيفة، فالنسبية العامة تسود المجرات وتحفظ الأبعاد المتناسبة بين الأجرام الفضائية، والجاذبية تشد الأرض وتستعيد شواردها، والروح تحكم في الجسد وتحرك أجهزته وخلاياه، والإرادة تهيمن على

الوحدة البشرية: (الفرد) فتنام وتستيقظ وتمشي وتأكل وتصارع، وتحرك يدك وتغمز بعينك بفاعلية الإرادة.

وتبقى الوحدة البشرية مملكة لسلطان الإرادة وتتصرف في الأشياء عن طريق إستخدام هذه الوحدة مادامت هذه الإرادة نواة ضعيفة، فإذا تمت تنميتها وتربيتها تكون قادرة على التصرف في الموجودات مباشرة بدون إستخدام تلك الوحدة البشرية.

وتتنافس على تربية الإرادة مدرستان مدرسة سماوية هي مدرسة الرسالات ومدرسة أرضية هي مدرسة الشياطين وتسمى المدرسة الأولى بمدرسة التقوى بينما تسمى المدرسة الثانية بمدرسة السحر، والمتخرجون من المدرسة الأولى تسمى تصرفاتهم الخارجية باسم (المعجزات) إذا صدرت عن الأنبياء، وباسم (الكرامات) إذا صدرت عن الأولياء، والمتخرجون من المدرسة الثانية تسمى تصرفاتهم الخارجية باسم (الأعمال السحرية).

ويمتاز تلامذة المدرسة الأولى بأن لإرادتهم نوعاً من الخالقية فيوجدون أشياء بمجرد الإرادة كما يفعل أهل الجنة حيث يوجدون مايشاؤون، وكما عبَّر القرآن عن المسيح: **﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾** [1] وكما ورد في الحديث القدسي: (عبدي أطعني أجعلك مِثْلي أو مَثَلي أقول للشئ كن

---

(١) آل عمران: ٤٩.

فيكون، وتقول للشئ كن فيكون).

وإذا كان الإمام المهدي يستخدم مثل هذه الصلاحية يكون من الهيِّن بسط سلطانه الشخصي على الأرض، كما فعل سليمان بن داود حيث سخَّر المخلوقات وأتى بعرش بلقيس من سبأ بلمح البصر، واختار حرسه من الوحوش والسباع.

حضارة الإمام المهدي

حضارة كل جيل حصيلة معرفة ذلك الجيل بالحياة، فمعرفة الإنسان بالموجودات تنعكس على تعامله معها، ومجمل تعامله مع الموجودات حضارته.

وقد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يعرف إلا ظواهر الموجودات فحدد تعامله معها بحدود ظواهرها.

لقد عرف ظواهر الأشجار كما هي، فاتَّخذ ثمارها طعاماً وأخشابها وقوداً وبيوتاً وسفناً.

وعرف ظواهر الحيوانات كما هي، فاتخذ لحومها طعاماً وجلودها وأصوافها متاعاً، وظهورها مراكب.

وعرف ظواهر الأرض كما هي فاتخذ من الصخور مساكن ومن السهول مزارع، ومن البحار أسماكها ولئالئها.

ونزل عمق الموجودات فاستخرج الحديد سلاحاً ولامة حرب، والذهب والفضة نقداً وزينة.

هذه المعرفة حددت حضارة الإنسان في العهود البدائية.

ثم أتت العهود الحديثة على الإنسان، فعرف (التحليل والتركيب) من

جهة، وعرف (النسبية العامة) من جهة أخرى، أي عرف تجزئة الشئ الواحد لإستخدام بعض جزئياته، وعرف تركيب الجزئيات المستخلصة من أشياء متعددة لإستخدامها كشئ واحد، وإلى جانب ذلك كله عرف قسماً من المعادلات التي تشد الموجودات ببعضها فاكتشف الكهرباء والذرَّة..

وكانت التكنولوجيا الحديثة، فلم يبق محصوراً في حدود التعامل مع ظواهر الموجودات، وإنما أصبح قادراً على التعامل مع جزئيات الموجودات، كما هو قادر على التعامل مع ظواهرها، فاستطاع أن يستخدم النفط ـ مثلاً ـ وقوداً، وأن يستخدم مشتقاته في ألوف الأغراض المختلفة، واستطاع أن يستفيد من الشعاع ـ مثلاً ـ للإضاءة، وأن يستفيد من مشتقاته لتحقيق آلاف الأهداف المتفاوتة.

فهذه المعرفة حددت حضارة الإنسان في العهود الحديثة.

ويأتي على الإنسان عهد آخر يعرف فيه جميع الطاقات المتفاعلة في الكون، بما فيها الطاقات الميتافزيقية كطاقات الجن والملائكة والشياطين ـ التي قد لايؤمن بها الكثيرون في الوقت الحاضر ـ ويعرف كيفية الإستفادة منها جميعاً، فيستطيع التنقل بين المجرات كما يتنقل اليوم بين أدوار البناية الواحدة ويستطيع إختراق حاجز الزمان والنور كما اخترق اليوم حاجز الصوت، ويستطيع الفرد أن يتعامل مع الموجودات بذات المرونة التي كان يتعامل بها أصحاب المعجزات مع الموجودات، ذلك سيكون عهد المعجزات

أو عهد الإمام المهدي عليه السلام الذي يفك جميع الرموز، ويعطي للإنسان كل العلم مائة في المائة(مائة حرفاً).

في العهود البدائية كانت تظهر بوادر تكنولوجية فظهر النفط واستخدم عبر انبوب قائم لايشتعل أبداً، وظهرت الساعة الآلية وظهرت أشياء أخر لم تكن الذهنية العامة مؤهلة لإستقبالها فرموها بالسحر والجن والشيطان.

ولكن تلك البوادر كانت طلائع عهد هو عهدنا المعاصر.

وفي جميع العهود السابقة ظهرت معجزات لم تكن الذهنية العامة مؤهلة لإستقبالها فرموها بالسحر والجن والشيطان، ولكن تلك البوادر كانت طلائع عهد، هو عهد المعجزات أو عهد الإمام المهدي عليه السلام [1].

حسن المهدي الشيرازي

بيروت

---

(١) هنا انتهى المؤلف الشهيد رحمه الله من وضع هذه المقدمة ولم ينته بعد ماأراد إثباته فيها، فهذه المقدمة تعاني من عدم إكمال نتيجة رصاصات الغدر من بعث العراق عصر يوم الجمعة ١٦/ جمادى الثانية/١٤٠٠ هجرية فإنا لله وإنا إليه راجعون.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

لمحات خاطفة عن الإمام الشهيد ٣
صـــلاة ٨
قبل البدء ٩
إهداء ١٥
• المقدمة ١٧
الحضارة والتكتلات: ٢٢
قضية المصلح المنتظر عليه السلام: ٢٣
معطيات الفكرة: ٢٦
ظاهرتان: اليأس والتشكيك: ٢٨
دور إبراهيم الخليل عليه السلام: ٢٨
دور موسى عليه السلام: ٢٩
دور عيسى عليه السلام: ٣٠
دور رسول الإسلام صلى الله عليه وآله: ٣١
أ ـ ظاهرة اليأس ٣٧
ب ـ ظاهرة التشكيك: ٣٩
ج ـ ظواهر جديدة أُخر: ٣٩
ملاحظة ومناقشة الظواهر: ٤١
الأقسام الأربعة لظاهرة اليأس: ٤٢
مناقشة التشكيك: ٤٦
سلاح الإمام المهدي عليه السلام: ٤٩
والأسلحة المتطورة: ٥٣
وطاقاته الروحية: ٥٤
والطاقات البنَّاءَة: ٥٥

توقيت الظهور: ٥٥
البشر في كل الإتجاهات: ٥٨
الإنسان في التجارب المُرَّة: ٦١
الإعتراف بالعجز: ٦٣
في حين الظهور: ٦٧
الولاية التكوينية للإمام عليه السلام: ٦٨
نشر العدل العام: ٦٩
ظاهرة التشكيك في حياته عليه السلام: ٦٩
تفنيد التشكيك علمياً: ٦٩
تفنيد التشكيك دينياً: ٧٣
فائدة الإمام الغائب ٨٠
الولاية التنفيذية: ٨٠
النبي والنبوة: ٨١
الرسالة والرسول: ٨٢
الإمامة والإمام: ٨٤
فوارق الأجهزة الإلهية مع الأجهزة البشرية: ٩١
التشكيك في إيجابية فكرة الإمام المهدي عليه السلام: ١٠٢
ظاهرة إنتهاء فكرة الإمام المهدي عليه السلام إلى الإتِّكالية: ١٠٦
وعن فلسفة الغيبة ١٠٨
المعجزة وأبعادها ١١١
التعامل مع الكلمات: ١١٦
موجز تواريخ نواب الإمام المهدي عليه السلام ١٢٢
١ ـ عثمان العَمْري: ١٢٢
٢ ـ محمد العمري: ١٢٣
٣ ـ الحسين بن روح: ١٢٥
٤ ـ علي السمري: ١٢٦

• وكلاء آخرون للإمام المهدي عليه السلام

١ ـ الوشاء ـ حاجز بن يزيد ١٣٠
٢ ـ البلالي ـ محمد بن علي بن بلال ١٣١
٣ ـ محمد بن ابراهيم بن مهزيار ١٣٤
٤ ـ ابن مهزيار ـ ابراهيم بن مهزيار ١٣٤
٥ ـ احمد بن اسحاق ١٣٤
٦ ـ محمد بن صالح الدّهقان ١٣٥
٧ ـ محمد بن جعفر الأسدي ١٣٦
٨ ـ القاسم بن العلاء ١٣٧
٩ ـ الحسن بن القاسم بن العلاء ١٣٩
١٠ ـ محمد بن شاذان ١٣٩
١١ ـ العطار ١٤٠
١٢ ـ العاصمي ١٤٠
١٣ ـ أبو عبدالله البزوفري ـ الحسين بن علي بن سفيان ١٤١
١٤ ـ ابراهيم بن محمد الهمداني ١٤٢
١٥ ـ أحمد بن اليسع بن عبد الله القمي ١٤٣
١٦ ـ أيوب بن نوح ١٤٤
١٧ ـ الجعفري ـ أبو هاشم داود بن القاسم ١٤٤
١٨ ـ الرازي ـ احمد بن اسحاق ١٤٥
١٩ ـ أبو جعفر ـ محمد بن احمد ١٤٦
١ ـ ابراهيم بن محمد ١٤٨
٢ ـ الحسن بن محبوب ١٤٨
٣ ـ عمرو الأهوازي ١٤٨
٤ ـ أبو محمد الوجناتي ١٤٨
منزلة الإمام المهدي عليه السلام في القرآن ١٥٠

أسئلة وأجوبتها ١٥٧
حضارة الإمام المهدي عليه السلام ١٦١

كتاب 714
ترتيب

101
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
115
117
122

كتاب 740
سكنر 66 و 67
ترتيب
086

789
سكنر: 163
ترتيب 237
تم